

جامعة مولود معمري-تيزي وزو
كلية الحقوق و العلوم السياسية
قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية



دور العوامل الثقافية في تحريك العلاقات الأورومغاربية
(2001-2011)

مذكرة لإستكمال متطلبات نيل شهادة الماستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية
(تخصص): دراسات متوسطة

من إعداد الطالب: بوعرابة عمر
تحت إشراف الأستاذة: أ. غنام فايزة

لجنة المناقشة:

أ. تيباني وهيبة	(أستاذة جامعة مولود معمري)	رئيسا
أ. واري عبد الكريم	(أستاذ جامعة مولود معمري)	عضوا مناقشا
أ. غنام فايزة	(أستاذة جامعة مولود معمري)	مشرفا و مقرا

السنة الجامعية: (2015-2016) الموافق ل: 1435هـ

تاريخ المناقشة: 11-09-2016

إهداء

"..... ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و علي والدي و أن أعمل صالحا ترضاه و
أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

سورة النحل، الآية 19

إنه ليعجز اللسان عن التعبير و لكن سأحاول فمهما حاولت لن أفني حق هؤلاء إلهي من قال الله
فيهما: "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا"
إلهي التي أهدتني الوصل دون الختامإلهي من ربتي وليدا و سقتني من حنينها شهد المنام...
التي أروضتني حنانا وحباً... إلهي فيض العطف و المودة...إلهي التي سهرت من أجل راحتي... أمي
العزيزة

"سعدية"

إلهي رمز النبل و الأخلاق... منبع الجود و الكرم... إلهي الذي رافقتني بإرشاداته وتوجيهاته النيرة
طوال مشواري الدراسي... الذي أهدى هذا العمل إلهي روحه الخالدة...أبي رحمه الله
"عامر"

إلهي رمز المحبة والوفاء إخوتي و أخواتي..
وإلهي كل أعمامي وعماتي وإلهي إخواني و خالاتي..
إلهي كل أصدقاء الدرب و زملاء الدراسة دون إستثناء و خاصة زميلتي "سيليا" التي كان لها دور
أساسي في إتمام هذا العمل..
وإلهي كل ... الأصدقاء المخلصين و الأوفياء: جمال - عميروش.....
إلهي كل الذين أحبهم أهدى لهم هذا العمل المتواضع.

محرر

شكر و تقدير

إن هذا العمل المتواضع ما كان ليتم لولا فضل الله تعالى و توفيقه، فالحمد لله حمدا كثيرا كما أمر وقد تأذن بالزيادة لمن شكر.

و إتباعا لقوله صلى الله عليه و سلم: " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " فإنني أتوجه بالشكر و التقدير إلى كل عائلتي من قريب و بعيد و كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع.

أولا أتقدم بخالص الشكر للإستاذة " غنام فايزة " على إشرافها و متابعتها لهذا البحث، و على توجيهاتها القيمة و نصائحها المادفة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى اساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، التي سألتزم بكل توجيهاتها و إنتقاداتها العلمية و الموضوعية

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل عمال المكتبات الذين زودوني بما أحتاجه من مراجع، خاصة عمال مكتبة قسم العلوم السياسية تيزي وزو، و عمال مكتبة قسم العلوم السياسية جامعة الجزائر.

و لكل من كان لي سندا و ساهم من قريب و بعيد في إنجاز هذا العمل.

لكم مني جميعا فائق الإحترام و التقدير.

عمر

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي و النظري للدراسة

مقدمة الفصل الأول

المبحث الأول: إطار عام حول مفهوم الثقافة

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي و السياق التاريخي للثقافة

المطلب الثاني: خصائص الثقافة و مكوناتها و وظيفتها

المطلب الثالث: علاقة مفهوم الثقافة بالمفاهيم الأخرى (الحضارة- الهوية- الأيديولوجيا)

المبحث الثاني: العلاقات الأورو-مغربية

المطلب الأول: السياق التاريخي للعلاقات الأورو- مغربية

المطلب الثاني: عوامل قيامها (العامل الجغرافي- العامل الثقافي – الإقتصادي – عامل الهجرة – العامل الأمني و السياسي)

المطلب الثالث: أهمية المحدد الثقافي في تحديد العلاقات الأورو- مغربية

المبحث الثالث: مكونات الثقافة المغربية وتأثيرها على العلاقات الأورو مغربية

المطلب الأول: المبادئ الأساسية للثقافة المغربية

المطلب الثاني: الثقافة الإسلامية في المغرب العربي و الحضارة العربية الإسلامية (العنصر الديني في الثقافة المغربية)

المطلب الثالث: المعطى الثقافي الهوياتي الأمازيغي

خلاصة الفصل الأول

الفصل الثاني: تأثير العوامل الثقافية على العلاقات الأورو-مغربية

مقدمة الفصل الثاني

المبحث الأول: السياق النظري (الأطروحات الفكرية)

المطلب الأول: أطروحة نهاية التاريخ "فرانسيس فوكوياما"

المطلب الثاني: النظريات الاجتماعية للأمن (البنائية)

المطلب الثالث: أطروحة صدام الحضارات "صمويل هنتغتون"

المطلب الرابع: مقارنة (إدارة التوحش لأبي بكر ناجي) دراسة نقد لفوكوياما

المبحث الثاني: السياق التطبيقي (السياسات الأوروبية والحركة الفرونكوفونية)

المطلب الأول: البعد الثقافي في المشاريع المختلفة في المغرب العربي

(مسار برشلونة، الإتحاد من أجل المتوسط.....)

المطلب الثاني: الحركة الفرونكوفونية

المطلب الثالث: مدى تأثير الحركة الفرونكوفونية على العلاقات الأورو-مغربية

المبحث الثالث: مشاكل و حلول و سيناريوهات المستقبلية للعلاقات الأورو-مغربية (الجانب الثقافي)

المطلب الأول: مشاكل العلاقات الأورو-مغربية

المطلب الثاني: حلول للمشاكل العلاقات الأورو-مغربية

المطلب الثالث: سيناريوهات المستقبلية العلاقات الأورو-مغربية

خلاصة الفصل الثاني.

الخاتمة

قائمة المراجع

الملاحق

مقدمة

مقدمة

حصل الكثير من التطور على مستوى العلاقات الدولية في العشرية الأخيرة من القرن الماضي أي بعد نهاية الحرب الباردة مباشرة، فكانت هناك تغيرات إقتصادية و سياسية و ثقافية مست كل الجوانب، كما أن السمة البارزة هي إنهيار المعسكر الشرقي و الذي كان يتزعمه الإتحاد الأوروبي و الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى بروز العديد من العوامل الأخرى في المنظمات السياسية و الإقتصادية و الثقافية

و من المناطق التي تأثرت بهذه الأوضاع نجد منطقة البحر المتوسط و التي تعتبر حقا من المناطق التي شهدت تطورات هامة و في مختلف المجالات، خاصة أنها من أهم المناطق على المستوى الدولي ككل و ليس الجهوي فقط و هذا نظرا لموقعها الجغرافي و الذي يعتبرها الكثير من الأخصائيين بمثابة المنطقة المركزية عالميا حيث تعتبر نقطة إلتقاء القارات الثلاث (أروبا،آسيا،إفريقيا)، و تمتلك هذه المنطقة عدة ممرات مطة على البحر كله.

أما على الصعيد الإقتصادي تمتلك هذه المنطقة خيرات طبيعية كالطاقة بأنواعها و ثروات زراعية.... ، و أما على المستوى الإنساني و الثقافي نجد المنطقة المتوسطة أكثر مناطق غنى و ثرى ثقافيا و دينيا، فأعرق الحضارات الإنسانية قامت على ضفاف المتوسط و الديانات السماوية الثلاث (اليهودية، المسيحية، الإسلام).

إن البحث في ثقافة أي إمة تمثل البحث في المرجعية المعرفية لهذه الأمة و شخصيتها وهويتها و ماضيها ...، و إذا كانت المعرفة عند الأمم الأخرى من باب الترف الفكري فإنها في الإسلام تتجاوز حدود المعرفة العقلية البحثية.

و إن الثقافة هي التراث الفكري الذي تتميز به جميع الأمم عن بعضها البعض حيث تختلف طبيعة الثقافة و خصائصها من مجتمع لآخر و ذلك للأرتباط الوثيق الذي يربط واقع الأمة و ثرائها الفكري و الحضاري، كما أن الثقافة تنمو مع النمو الحضاري للأمة و كما أنها تتراجع مع ذلك التخلف الذي يصيب الأمة و هي التي تعبر عن مكانتها الحضارية و الثقافية التي وصلت إليها.

و كما كان موضوع الثقافة محل إهتمام كبير من المهتمين في العلوم الإنسانية، حيث هناك من يرى أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة و العقائد و القيم و العادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع، و هناك من يرى أن الثقافة عبارة عن تنظيم يشمل مظاهر الأفعال و أفكار يتعامل معها . وبهذا المعنى تكون الثقافة عبارة عن تاريخ الإنسان المتراكم عبر الأجيال.

أما فيما يخص البعد الثقافي في العلاقات الأورو مغربية يعتبر جانب مهم من جوانب الشراكة على غرار الجوانب الإقتصادية و السياسية و التي طالما لقيت إهتمام الأكبر فيما يتعلق بمختلف الأبحاث الأكاديمية و حتى على صعيد إهتمامات أطراف الشراكة في حد ذاتها، و لكن دائما ما يكون هناك شبه إهمال بالجانب الثقافي في هذه العملية التشاركية رغم أن هذا الجانب يعد عنصرا مهما من الوصول إلى الأهداف المرجوة.

إن المنطقة الأورو مغربية لها تحديات كثيرة منها إقتصادية، سياسية و أمنية خاصة فيما يتعلق بقضايا التي تهدد أمن المتوسط (كالإرهاب، الهجرة غير الشرعية، المخدرات ..) إضافة إلى التناقضات الثقافية و الفكرية الكبيرة في المنطقة و التي ما تتجه نحو التآزم و اللاتفاهم بين أطراف الشراكة.

و لكن وأمام هذه التحديات العميقة لا ينبغي لأي طرف البقاء كمتفرج فقط على هذه المعطيات خاصة وأنه وأمام أي مؤشر كان من هذه المؤشرات المذكورة، فكل طرف في حوض المتوسط سيتأثر لا محالة بالوضع العام هناك وفي أي مجال إقتصادي أو سياسي أو ثقافي.... الأمر الذي طرح فكرة الشراكة بين مكونات هذه المنطقة.

أما في هذا البحث فسيتم التطرق أساسا إلى البعد الثقافي كجانب مهم من جوانب الشراكة، كما أن الدراسة هذه ستطرق إلى المنطقة الأورو مغربية و ليس المنطقة الأورو- متوسطة ككل أي أنه سوف يتم تناول الشراكة بين دول الإتحاد الأوروبي و دول المغرب العربي.

١. **مبررات إختيار الموضوع:** يعتبر موضوع البعد الثقافي في العلاقات الأورو مغاربية موضوعا واسعا و شاملا حيث يحتاج إلى الكثير من التدقيق و هذا في مختلف جوانبه ما يدفع بأي باحث إلى الإهتمام به خاصة في ظل الأهمية التي يكتسبها و خصوصا أن الأهمية في تزايد مستمر حيث أنه و في هذه المرحلة البحثية سوف يتم التطرق إلى الدوافع التي كانت وراء إختيار هذا الموضوع و يمكن إيجازها في مجموعة مبررات ذاتية تتعلق بالباحث في حد ذاته و مجموعة مبررات موضوعية متعلقة بالعوامل المحيطة بالبحث.

(أ) - المبررات الذاتية:

لقد تم إختيار هذا الموضوع أساسا نتيجة ميولات شخصية بالدرجة الأولى ، و هناك أيضا إهتمام شخصي بالموضوع في حد ذاته بحكم إنتمائنا إلى المنطقة المتوسطية و المغاربية في نفس الوقت، إضافة إلى رغبتنا في محاولة التدريب على الربط المنطقي للأدوات العلمية التي إستفدنا منها في حقل العلاقات الدولية و هذا لكسب مهارة التحليل العلمي و الغوص في البحث و التأليف العلمي. كما أن هناك إستشارة شخصية للأستاذ المؤطر حيث ووفق توجيهه المباشر كان الإتفاق على هذا الموضوع

(ب) - المبررات الموضوعية:

هذا الموضوع يحاول أن يقدم نظرة تحليلية لدور العوامل الثقافية في تحريك العلاقات الأورومغاربية حيث تم التركيز في هذا الموضوع على البعد الثقافي في تحديد العلاقات الأورو مغاربية و تأثيرها عليها، كما يعتبر هذ الموضوع معقد ومهم وهذا راجع لعدة أسباب، لأن الكثير من الباحثين ركزوا على جوانب متعددة منها إقتصادية، سياسية أمنية ... ويعتبر من المواضيع العلمية الحديثة في المجال الثقافي و السياسي. و السبب الذي أدى إلى إختيارنا لهذا الموضوع كونه ضمن تخصصنا "دراسات متوسطة" و أيضا أننا نعيش في المنطقة غرب المتوسط الذي يعتبر كمخبر لإختيار مجموعة من القضايا التي لم يحسم في أمرها بعد.

إضافة إلى هذا فإن التعاون الأورومغاربي يعاني كثيرا أو هو متخلف جدا مقارنة بمشاريع إندماجية أخرى على الصعيد العالمي وهو ما نراه جليا من خلال بعض الأمثلة على غرار دول الإتحاد الأوروبي أو دول أمريكا الشمالية و غيرها حيث أن المنطقة الأورو مغاربية و رغم ضرورة إندماجها لمسيرة الرهانات الحاصلة إلا أنها لا تزال بعيدة عن تحقيق هذا الطموح. و هذا ما جعلنا نختار هذا الموضوع من أجل معرفة أهم الإمكانيات المتاحة لتحقيق التعاون الأورومغاربي، وأيضا إذا كان العامل الثقافي هو عامل جذب للتعاون أم أنه عامل للصراع في العلاقات الأورومغاربية.

II. أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة أساسا إلى محاولة معرفة تأثير البعد

الثقافي بصفة عامة على العلاقات الأورو مغربية و كما تهدف أيضا هذه الدراسة إلى إيجاد وعاء نظري و مفاهيمي مناسب للدراسة و محاولة معرفة الأمن الثقافي في العلاقات الأورو مغربية .

وتهدف أيضا إلى إبراز البعد الثقافي كمحور ذو أهمية محورية فيما يخص إتفاقات الشراكة و هذا من مسار برشلونة إلى غاية أحداث ما بعد 11 سبتمبر 2001 و تهدف إلى الوصول إلى نتائج التي تبقى بعضها مرتبطة بمنطقة غرب المتوسط.

III. الإشكالية: يعتبر مشروع الشراكة الأورومتوسطية المقترح من طرف الإتحاد الأوروبي كفيل

بتحقيق المصالح المشتركة و المتوازنة لضفتي حوض البحر المتوسط و بصفة خاصة تحقيق التنمية للدول المغربية.

لمعالجة هذا الموضوع الذي هو "دور العوامل الثقافية في تحريك العلاقات الأورو مغربية" تم طرح إشكالية مركزية و المتمثلة في:

إلى أي مدى تساهم العوامل الثقافية في تحريك جدلية الصراع و التعاون في العلاقات الأورومغربية (2001-2011)؟

و تنطوي تحت الإشكالية المركزية التساؤلات الفرعية التالية:

1- ماهي العوامل الثقافية في دراسة العلاقات الدولية ومكانتها في تحليل الدراسات الأمنية؟

2- هل يمكن الإعتماد على العوامل الثقافية كمتغير تفسيري يساهم في تحريك جدلية الصراع و التعاون في غرب المتوسط؟

3- هل يمكن تفسير قضايا المنطقة بأنها إنعكاس للخلفيات الثقافية و العقائدية لدول المنطقة؟

4- ما مدى تأثير العوامل الثقافية في طبيعة القضايا التي شهدتها منطقة غرب المتوسط؟

5- ما هي مكانة البعد الثقافي مقارنة بالأبعاد الإقتصادية و السياسية في الفضاء الأورو مغربي؟

IV. الإطار الزماني و المكاني للدراسة:

(أ)- الإطار الزمني:

ينحصر موضوع الدراسة (عشر سنوات) أي في الفترة الممتدة ما بين (2001-2011) وهذا يعني :

2001: أحداث 11 سبتمبر 2001

2011: أحداث تحولات جيوسياسية شهدتها منطقة غرب المتوسط " الربيع العربي". ولكن هذا لا يعني أننا لا يمكننا الرجوع إلى محطات تاريخية مهمة في تاريخ العلاقات الأورو مغربية مثل: مسار برشلونة 1995، سياسة الجوار الأوروبية، حوار 5+5، الإتحاد من أجل المتوسط....

(ب)- الإطار المكاني:

تم التركيز في هذه الدراسة على المنطقة المتوسطية حيث أنه هناك متوسط شرقي و متوسط غربي، و ركزنا في دراستنا على منطقة غرب المتوسط بالتحديد أي علاقة الإتحاد الأوروبي بالطرف المغربي، وأن غرب المتوسط لديه قضايا معقدة و شاملة تتعدد فيها المواضيع و الأهداف الإقليمية و الدولية.

v. الفرضيات: لمعالجة الإشكالية المركزية و الأسئلة الفرعية المطروحة يمكن طرح

مجموعة من الفرضيات و التي يمكن حصرها فيما يلي:

- 1- تنامي أهمية العوامل الثقافية في دراسة العلاقات الأورو مغربية وذلك يرجع إلى مجموعة التحولات التي خلفها أحداث 11 سبتمبر.
- 2- تؤثر العوامل الثقافية بشكل ملموس في تحريك جدلية التعاون والصراع على العلاقات الأورو مغربية.
- 3- يرتهن تطور العلاقات الأورو مغربية بمدى تحقيق تعاون أورو مغربي من نوع رابح- رابح.
- 4- مستقبل العلاقات الأورو مغربية يرتبط بمجموعة من التغيرات و التطورات التي شهدتها المنطقة.

.VI. الإطار النظري للدراسة:

من الضروري في أي بحث علمي إتباع نظريات محددة من أجل التقيد بها أثناء البحث العلمي حيث أن النظريات و المقتربات السليمة تساهم في بناء بحث قوي مرتكز على قواعد سليمة بطبيعة الحال لذلك في هذا العرض استخدمت مجموعة نظريات تتوافق مع موضوع الدراسة:

1- النظرية الوظيفية:

ترتبط هذه النظرية بإسهامات ديفيد ميتراني حيث قام بإقتراح بدائل للاندماج سماها بالخيار الوظيفي و تقوم هذه الفكرة على ضرورة الفصل بين الأمور السياسية و الأمور الوظيفية في الاندماج ، كما كان ينادي هذا الأخير بفكرة الاندماج الوظيفي وفي المقابل التخلي عن الاندماج السياسي، كما أن التصور النهائي لهذه العملية حسبه يقوم على إنشاء منظمات وظيفية دولية كما تقوم الدول المتعاونة بنقل جزء من سيادتها في هذه القطاعات الوظيفية إلى المؤسسات الدولية مع الإحتفاظ بالسيادة السياسية.¹

و تتفق هذه النظرية نوعا مامع هذه الدراسة المقدمة حيث أن العديد من أطراف العلاقة الأورومغاربية يسعون إلى تغليب طابع التعاون السياسي و الإقتصادي على البعد الثقافي الذي يعتبر محور أساسي في العلاقات الأورومغاربية غير أن هذا الفصل يبقى نسبي حيث ليس من الواقع الفصل التام بين مختلف الأبعاد الإقتصادية و السياسية و الثقافية.

2- النظرية الوظيفية الجديدة:

من أهم منظريها نجد أرنست هاس، حيث إنتقد أفكار ميتراني فيما يخص الفصل بين الأمور الفنية و السياسية و قدم أرنست هاس مفهوم الإنتشار مفسرا من خلاله التداخل بين الاندماج السياسي و الفني حيث يرى بأن الاندماج الفني حتما سيؤدي إلى توسع باتجاه الاندماج السياسي كما يقدم أنصار هذه النظرية تعريفا لمفهوم فوق القومية، على أنه لا يعني نقل سيادة الدولة إلى ما فوق مستوى الدولة لكن يعني تجميع سيادة الدولة المختلفة في مستوى أعلى و هذا بشكل مشترك من خلال مؤسسات فوق قومية. و كما تتميز هذه النظرية بواقعيته حيث تؤكد على الارتباط بين مختلف المجالات السياسية و الإقتصادية و الثقافية عكس النظرية السابقة.²

(¹) فيصل سمارة، البعد الإنساني في الشراكة الأورو مغاربية، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، (جامعة مولو معمري: نيتزي وزو، 2013) ص40.

(²) مريم زكري، البعد الإقتصادي في العلاقات الأورومغاربية، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، (جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، 2011) ص2.

3- النظرية الإتصالية:

هذه النظرية تنسب أساسا إلى كارل دويتش حيث يؤكد هذا الأخير على ضرورة الإتصال بين مختلف الفواعل الدولية من أجل الوصول إلى الاندماج، كل هذا من أجل الوصول إلى مجتمع آمن وهذا وفق شكلين، الأول هو مجتمع اللاحرب و الثاني هو المجتمع التعددي.¹

4- نظرية التبعية:

تعود هذه النظرية إلى الماركسيين الجدد حيث و حسب هذا المذهب فإن تفسير الإمبريالية من منطلق الأطراف و ليس المركز فقط، فأساس تخلف دول العالم الثالث كونها تقع داخل منظومة عالمية واحدة بحيث تستغل الأطراف لحساب المركز، و للتذكير فقط فالمقصود بالأطراف هي دول عالم الثالث أما المركز فهي الدول الصناعية المتطورة، و من أهم مفكري هذه النظرية نجد كلا من جون "غالتونغ" و عندنا في العالم العربي "سمير أمين".

ولقد لقيت هذه النظرية رواجاً كبيراً حيث هذا الطرح يقدم أفكاراً واقعية ، كما أن هذه التبعية لا تكون ثقافياً فقط و إنما تكون أيضاً إقتصادياً، سياسياً، اجتماعياً....²

إن هذه النظرية خاصة كبيرة تعمل على تقديم تحاليل قيمة عن العلاقات الدولية بشكل خاص، كما تتميز بنوع من الواقعية وكذا الشمولية في تفسيراتها المختلفة و هذا عكس النظريات الأخرى و التي هي غير واقعية في أفكارها. كما أن هذه النظرية تساعدنا كثيراً في موضوعنا هذا المقدم حيث نحن أمام دول مركزية أوروبية و أخرى دول محيطة و تابعة وهي الدول المغاربية.

(1) - فيصل سمارة، مرجع سابق ذكره، ص 41 .

(2) - المرجع نفسه، ص 42.

VII. الإطار المنهجي:

إعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المناهج هي:

- (ب)- المنهج التاريخي:** المنهج التاريخي هو الآخر يعتبر من اهم المناهج في العلوم السياسية و الإنسانية ، حيث تتميز الدراسات الإنسانية بإتصالها بالتاريخ.¹
- ونظرا لأهمية التاريخ الكبيرة في الدراسات السياسية فكان من الضروري إدراجه في هذه الدراسة ، حيث أن سرد تاريخ العلاقات الأوروبية مغربية سيساعد حتما في فهم الحاضر المعاش حاليا و لو كانت هذه المقولة نسبية نوعا ما.
- (د)- المنهج المقارن:** من خلال هذا المنهج قمنا بإجراء المقارنة بين العوامل الثقافية بين منطقتي المغرب العربي و الإتحاد الأوروبي، حيث دائما ما نرى أوجه التشابه و الإختلاف بين الطرفين الأوروبي و المغربي، و لقد إعتمدنا على هذا المنهج في دراستنا من أجل الوصول إلى نتائج علمية و واضحة.
- و إعتمدنا أيضا على مستوى من مستويات التحليل : كالتنبؤ و التفسير و الوصف.....

(1)- عبد الناصر جندلي ، تقنيات و مناهج البحث في العلوم السياسية و الإجتماعية ، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008)، ص199

VIII. أدبيات الدراسة:

لا يمكن القيام بأي عملية بحثية في العلوم الإجتماعية و العلوم الساسية بشكل عام من وحي الذات ، إنما لابد من الإستناد دائماً إلى قائمة أهم المراجع حول الموضوع المراد إنجازها. كما أن هناك العديد من الباحثين تناولوا الموضوع كله أو جزء منه بالتحليل و الدراسة، و إعتدنا في بحثنا على مجموعة من الدراسات السابقة قسمناها إلى :

أ- الكتب: قام الباحث من إستفادة من:

- مرجع من تأليف الدكتور بشارة خضر و الذي يحمل عنوان "أوروبا من أجل المتوسط من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس (1995-2008)"¹، و الذي صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية حيث تناول هذا المرجع مختلف محاور العلاقة الأورو مغربية.
- مرجع علي الحاج و الذي يحمل عنوان " سياسات دول الإتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة"².

- إعتدنا على كتاب من تأليف فتح عبد الله ولعلو و الذي يحمل عنوان " المشروع المغربي و الشراكة الأورومتوسطية 1997"³ و الذي يهتم بشكل أكبر على الجانب الثقافي في الشراكة الأورو مغربية.

- كتاب عبد الرحمان خليفة تحت عنوان "المدخل إلى الإيديولوجيا والحضارة 2006" و الذي تناول العلاقة بين الحضارة و الثقافة و الهوية و الأيديولوجية.

ب- مقالات:

كما تم الإعتماد على مقالات منشورة متنوعة نذكر على سبيل المثال:

- مقالة السفير هاني خلاف والتي نشرت في مجلة السياسة الدولية في جويلية 2008 و التي تناولت بعض الجوانب الإنسانية على غرار حقوق الإنسان ووسائل متنوعة كالأديان والأبعاد الثقافية الأخرى في الشراكة الأورومتوسطية.

كما تم الإعتماد على مجموعة من دراسات لمفكرين منها:

- دراسة صامويل هنتغنتون "صدام الحضارات"

- دراسة فرنسيس فوكوياما "نهاية التاريخ"

- دراسة مالك بن نبي "مشكلة الحضارة"

وإعتدنا أيضا في مذكرتنا على مختلف الوثائق الرسمية و التي تتعلق أساسا بالعلاقة الأورومغربية منها و وثيقة برشلونة.. ومختلف الوثائق و التقارير المنبثقة عن اي إجتماع و على مختلف المستويات فيما يتعلق بالتعاون الأورومغربي.

(1)- بشارة خضر، أوروبا من أجل المتوسط، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، ص44.

(2)- علي الحاج، سياسات دول الإتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، فبراير 2005)، ص 19.

(3) - فتح الله ولعلو، المشروع المغربي في المنطقة العربية و الشراكة الأورومتوسطية 1997، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1997)، ص14.

IX. تحديد مصطلحات الدراسة: تفرض علينا الدراسة ضبط المصطلحات الواردة في البحث و منها:

-**الثقافة:** " تعريف تايلور": يوصفها ذلك الكل الديناميكي المعقد الذي يشتمل على المعارف و الفنون و المعتقدات و الأخلاق.... التي يكتسبها الإنسان من مجتمعه بوصفه عضوا فيه....¹

- **الهوية المغربية:** هي كل ما يجعل المغاربة متقاربين فكريا في تنشئتهم الاجتماعية و في مجموع العناصر المعنوية و المادية التي توحدهم و تجعلهم كتلة بشرية متجانسة و مشتركة في عناصر تاريخية و حضارية ولغوية...²

-**الهوية الأوروبية:** على مستوى الاتحاد الأوروبي هناك العديد من الأشخاص الذين يروجون لفكرة الهوية الأوروبية سواء عبر الاتحاد أو داخل دول الأعضاء، و يعني بالهوية الأوروبية هوشعور الأوروبي بالمواطنة الأوروبية ، وهناك عدة عناصر للهوية تسعى لترسيخ فكرة الهوية الأوروبية من خلال العلم الأوروبي، و النشيد الوطني الأوروبي ، كما أن هناك محاولة لبناء المواطنة الاجتماعية مثل: حرية تنقل الأشخاص داخل منطقة شنغن، و اليورو بالنسبة للدول التي اعتمدته كعملة موحدة.³

- **الصراع:** هو عبارة عن إرباك أو تعطيل للعمل ولوسائل إتخاذ القرارات بشكل يؤدي إلى صعوبة المفاضلة و الاختيار بين البدائل و إن وجود الصراع عند مستوى معين يعتبر حافز و يعتبر أيضا أحد مصادر القوة لرفع الأداء الوظيفي للأفراد و الجماعات.⁴

- **التعاون:** يعتبر التعاون تبادل مساعدة، و لا يهدف إلى خلق مؤسسات دائمة وهو ذو طبيعة مؤقتة، أهدافه مجردة وغير مشتركة، فهو عبارة عن مشاركة في العديد من النشاطات بين الدول ذات مستوى إنمائي متفاوت.⁵

- **التكامل:** هو عبارة عن عملية تقارب مرحلية يهدف إلى بناء أجهزة و مؤسسات دائمة، كما أنه يقوم على خلق شخصية قانونية، و يهدف إلى تحقيق أهداف مشتركة.⁶

- **الشراكة:** هي عبارة عن طريقة للحصول على منافع مشتركة و أنها نظام مشاركة بين الأطراف اجتماعيا، إقتصاديا، سياسيا... و تقوم على وجود أجهزة دائمة ومصالح مشتركة بين الفواعل الدولية.⁷

-
- (1)- فاطمة حموتة، البعد الثقافي في السياسة الخارجية للإتحاد الأوروبي تجاه منطقة المغرب العربي، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص دراسات مغربية، (جامعة محمد خيضر: بسكرة، 2010-2011)، ص.12.
- (2)- الكبير الداديسي، الهوية المغربية في الدستور، السياسة الدولية، عدد 2002، 3882، ص.15.
- (3)- المرجع نفسه، ص.26.
- (4)- عبد اللطيف بوروي، العلاقات الأوروبية المغربية بعد عام 2001، (الجزائر: كلية العلوم السياسية، 2008)، ص.2.
- (5)- المرجع نفسه، ص.3.
- (6)- المرجع نفسه، ص.4.
- (7)- عبد اللطيف بوروي، مرجع سابق ذكره، ص.6.

- **العلاقات الأوروبية-مغربية:** هي عبارة عن شراكة كانت بين دول الأعضاء الإتحاد الأوروبي و دول المغرب العربي و التي تتكون أساسا من: ليبيا، الجزائر، تونس، المغرب و موريتانيا. وكان هدفها هو تحقيق التنمية و إنشاء منطقة تبادل حرة، و تحقيق الإستقرار الأمني للمنطقة المتوسطية، و تبادل ثقافي بين الشعوب الضفتين....¹

- **الأمن الثقافي:** هو عبارة عن مصطلح يتكون من لفظين هما الأمن و الثقافة، و يعتبر الأمن الثقافي مفهوم إيجابي و تفاعلي لتأسيس رؤية جديدة للأمن حين يترادف مع الثقافة، و يم إستخدامه بالشكل المطلوب لتوفير إحتياجات المجتمع و يكفل حرية الرأي و الرأي الآخر و يحفظ حقوق الدول و الأفراد ، و الأمن الثقافي هو البيئة الصالحة و الحاضنة للتعايش السلمي و القضاء على الإرهاب و الجريمة بكل أشكالها، فهو مجموعة من الإجراءات و الأفكار و القواعد و القوانين التي يجب إتخاذها و تحقيقها للوصول إلى التنية البشرية بمفهومها الشامل و تحقيق السلامة و الإستقرار.²

X. صعوبات الدراسة:

لكل بحث صعوبات تحول دون سهولة البحث والعمل، ويمكن تلخيص الصعوبات التي وجدناها في مذكرتنا الى:

- صعوبة إيجاد مقارنة لتحليل العلاقات الأورو-متوسطية.

- البعد الكبير الذي تعكسه العلاقات الأوروبية المتوسطية عامة و الأوروبية المغربية خاصة، فشعوب و حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط تفاعلت مع بعضها البعض قبل سنين بعيدة، فالعلاقات التاريخية بين هذه الشعوب و الحضارات عرفت بدرجات متفاوتة أحيانا تكون علاقات تعاون و أحيانا أخرى تكون علاقات صراع و حروب.

- قلة المراجع الملمة بالموضوع خاصة باللغة العربية لتمكيننا من التعمق أكثر في الموضوع.

(1) - فيصل سمارة، مرجع سابق ذكره، ص13.

(2) - نهلة محمد أحمد جبر، الأمن الثقافي: مفهومه و دواعية و عوامل تحقيقه، (القاهرة: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية) ص134.

XI. تقسيم الدراسة: إعتدنا في البحث على خطة بسيطة تتكون من فصلين رئيسيين و كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث، و كل مبحث يحتوي على ثلاثة مطالب.

الفصل الأول: الذي يحمل عنوان الإطار المفاهيمي و النظري للدراسة، يتكون هذا الفصل من ثلاث مباحث كل مبحث يحتوي على ثلاث مطالب، **المبحث الأول** يحمل عنوان إطار عام حول مفهوم الثقافة هذا المبحث له ثلاث مطالب، **المطلب الأول** تحدثنا فيه عن الإطار المفاهيمي و السياق التاريخي للثقافة، **المطلب الثاني** تحدثنا فيه عن خصائص الثقافة و مكوناتها و وظيفتها، أما في **المطلب الثالث** تحدثنا عن علاقة مفهوم الثقافة بالمفاهيم الأخرى، فيما يخص **المبحث الثاني** الذي يحمل عنوان العلاقات الأورومغاربية قسمناه إلى ثلاث مطالب، **المطلب الأول** عنوانه السياق أو التطور التاريخي للعلاقات الأورومغاربية، أما **المطلب الثاني** عنوانه عوامل قيام العلاقات الأورومغاربية، و **المطلب الثالث** عنوانه أهمية المحدد الثقافي في تحديد العلاقات الأورومغاربية، **المبحث الثالث** يحمل عنوان مكونات الثقافة المغاربية وتأثيرها في العلاقات الأورو مغاربية، لهذا المبحث ثلاث مطالب، **المطلب الأول** عنوانه المبادئ الأساسية للثقافة المغربية، **المطلب الثاني** عنوانه الثقافة الإسلامية في المغرب العربي و الحضارة العربية الإسلامية (العنصر الديني)، أما **المطلب الثالث** فيحمل عنوان المعطى الثقافي الهوياتي الأمازيغي.

الفصل الثاني: الذي عنوانه تأثير العوامل الثقافية على العلاقات الأورو مغاربية، هذا الفصل له ثلاث مباحث، **المبحث الأول** الأطروحات الفكرية و هو عبارة عن سياق نظري للفصل ، يتكون هذا المبحث من أربع مطالب، **المطلب الأول** يحمل عنوان أطروحة نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما، **المطلب الثاني** عنوانه النظريات الاحتمالية للأمن (البنائية)، **المطلب الثالث** يحمل عنوان أطروحة صدام الحضارات لصمويل هنتغنتون، أما **المطلب الرابع** فعنوانه مقارنة إدارة التوحش لأبي بكر ناجي. **المبحث الثاني** تحدثنا فيه عن السياسات الأورومغاربية في المغرب العربي و الحركة الفرنكوفونية و هو عبارة عن سياق تطبيقي للفصل، يحتوي هذا المبحث على ثلاث مطالب، **المطلب الأول** عنوانه البعد الثقافي في المشاريع المختلفة في منطقة المغرب العربي، **المطلب الثاني** الذي يحمل عنوان الحركة الفرنكوفونية بصفة عامة ، أما **المطلب الثالث** فعنوانه مدى تأثير الحركة الفرنكوفونية على العلاقات الأورو مغاربية، أما **المبحث الثالث** و الأخير فتحدثنا عن مشاكل وحلول و سناريوهات العلاقة الأورو مغاربية، له ثلاث مطالب، **المطلب الأول** الذي يندرج تحت عنوان مشاكل العلاقات الأورومغاربية، **المطلب الثاني** يحمل عنوان حلول لمشاكل العلاقات الأورومغاربية، **المطلب الثالث** و الأخير يحمل عنوان سناريوهات العلاقات الأورومغاربية.

و في الأخير ختمنا بخاتمة للبحث و هي عبارة عن خلاصة إستنتاجات عامة للدراسة.

الفصل الأول: الإطار النظري و المفاهيمي لِلدراسة

الفصل الأول: الإطار النظري و المفاهيمي للدراسة

مقدمة الفصل:

يُعد مفهوم "الثقافة" من المفاهيم المحورية في علم الاجتماع بصفة عامة، والأنثروبولوجيا الثقافية بصفة خاصة. ويشكل مفهوم الثقافة أحد الأفكار الكبرى التي ساعدت البشرية على إنجاز الكثير من التقدم العلمي والتطور الفكري؛ فالثقافة مفهوم يتميز بأنه ذا طبيعة تراكمية ومستمرة. فهي ليست وليدة عقد أو عدة عقود، بل هي ميراث إنساني اجتماعي يعطي تصورا لتاريخ البشرية وتفاعل الإنسان مع البيئة المادية والاجتماعية. لذلك، فإن محاولة تعريف هذا المفهوم تعكس جدل واسع وصراع طويل بين علماء الاجتماع؛ لأنه على الرغم من شيوع استعمال مصطلح الثقافة على ألسنة العامة من الناس، إلا أن المختص في دراسة العلوم الاجتماعية حينما يحاول تعريفه يصل الي تعريفات عديدة، في نطاق علمه والعلوم الأخرى، وكل تعريف منها يعكس وجهة نظر صاحبه، أو النظرية التي ينتمي إليها. كما يتداخل مفهوم الثقافة مع مفاهيم أخرى كالحضارة والهوية

المبحث الأول: إطار عام حول مفهوم الثقافة

المطلب الأول: الإطار المفاهيمي و السياق التاريخي للثقافة

أ- الثقافة لغة

ترجع كلمة ثقافة في قواميس اللغة العربية إلى مادة: (ث ق ف)، ثَقِفَ، يَثْقِفُ، ثَقْفًا؛ من باب فَرِحَ؛ ويعني صار حاذقًا فطنًا، وَثَقِفَ الرجلَ في الحرب أدركه، وظفر به . ويجئ الفعل – أيضًا من باب كَرُمَ؛ فيقال: ثَقَّفَ الرجلُ: صار حاذقًا في علم أو صناعة، ومصدره "ثقافة"، وثاقفه، مثاقفة وثقافًا: خاصمه وجالده بالسلاح إظهارًا للمهارة والحِذْق، وَثَقَّفَ الشيءَ أقام المعوج فيه وسوّاه، وَثَقَّفَ الإنسانَ: أدّبه وهذبه وعلمه، و "الثقافة" لفظة محدثة بمعنى أنها كلمة استعملها المحدثون في العصر الحديث، وشاع استعمالها في لغة الحياة العامة، وذكر في المعجم الوسيط: "أنها تعني العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحِذْق فيها"¹.

ووردت اشتقاقات هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الوجود والتمكن في بضع مواضع من سور القرآن الكريم ففي القرآن الكريم: {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} أي وجدتموهم؛ وفي تفسير الجلالين {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَنْبُسُوا إِلَيْكُمْ أُيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} : أي إن يظفروا بكم في الحرب يتسلطوا عليكم بالقتل والضرب والشتم؛ (ضربت عليهم الذلة أين ما تنفقوا) : أي حيثما وجدوا ،(فإما تتقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم) : أي فإما تجدنهم في الحرب وتظفر بهم فنكل بهم حتى يكونوا عظة وعبرة لغيرهم.

كذلك وردت اشتقاقات كلمة ثقف فيما ورد في الأثر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تصف أباهما سيدنا ومولانا أبا بكر الصديق ، حيث كان مما قالت فيه : (وأقام أوده بثقافه) : أي هذب نفسه بنفسه ، أو استخدم زاجره الداخلي وضميره في تقويم اعوجاجه وبناء ذاته الداخلية، كذلك وردت اشتقاقات لهذه اللفظة في معلقة الشاعر الجاهلي عمرو بن أم كلثوم ، وذلك في قوله يخاطب الملك عمرو بن هند ويفخر بقومه - :

فإن قناتنا يا عمرو أعيت * على الأعداء قبلك أن تلينا

(1)- منير البعلبكي، المعجم الوسيط،(القاهرة:دار النهضة،1994)،ص18

إذا عضّ الثقاف بها اشمازت* وولته عشوزنة زبونا
عشوزنة إذا انقلبت أرنت * تشج قفا المثقف والجبيينا.

وهو في هذه الأبيات يشبه قناة قومه بعود الرمح القوي بحيث يستعصى على العامل الذي يقوم على تقويمه وتعديله؛ فيشجه على قفاه وجبيينه. كذلك جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي :- ثقّف: صار حاذقا خفيا فطنا ، وثقف بن عمرو: صحابي من أهل بدر، وامرأة ثقاف :فطنة ، وثقفه:سوّاه ، وثاقفه : غالبه فغلبه في الحق،كذلك جاء في قاموس لسان العرب لابن منظور : ثقّف الرجل : صار حاذقا فطنا ، وثقفه تنقيفا : أي قوّم عوجه ، وأصل ذلك للرماح ثم استعير فصار للتقويم الخلق، وللكمة في الثقافة الغربية تاريخ طويل؛ يقال فيه إن جذرها يرجع إلى اللفظ اللاتيني Culture ويعنى حرث الأرض وزراعتها، واستخدمه "شيشرون Ciceron "بمعنى زراعة العقل وتنميته، ويستعمل اللفظ Culture في الإنجليزية والفرنسية و Kulture في الألمانية ليعني ثقافة.¹

ب-الثقافة في الاصطلاح:

استعملت الثقافة في عصرنا الحديث هذا للدلالة على الرقي الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات، فالثقافة لا تعد مجموعة من الأفكار فحسب ولكنها نظرية في السلوك مما يساعد على رسم طريق الحياة إجمالاً، وهي الوجوه المميزة لمقومات الأمة التي تميز بها عن غيرها من الجماعات بما تقوم به من العقائد والقيم واللغة والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين والتجارب، وإجمالاً فإن الثقافة هي كل مركب يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات، ويرى أ.د. كمال محمد جاهد الله الخضر أن للثقافة ثلاثة مكونات(العنصر "القبيلة"، واللغة، والدين)، وبذلك تعد موضوعاً رئيساً من موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية التي تهتم بالثقافات الإنسانية وبطرق وأساليب الحياة في الثقافات المعاصرة أو المندثرة.²

(1)-المعجم الوسيط،مرجع سابق ذكره،ص21

(2)-. كمال محمد جاهد الله الخضر، "مكونات الثقافة في السودان"،مجلة قراءات إفريقية،الرباط،العدد13،سبتمبر2012،ص12.

وإذا كانت الثقافة في أبسط صورة تعني أساليب وطرق الحياة، فإن التعبير عن تلك الأساليب والطرق يضحى أمراً يوافق أو يتعارض مع الآخر مما يترتب على ذلك إما تعايش وتساكن أو تنافر واحتراب، ولقد تطور مفهوم الثقافة حتي وصل الي مايعرف بالثقافة المركز (العولمة)

ج-الثقافة في الادبيات العربية:

يري كثيرا من النقاد والباحثين، ان مصطلح الثقافة لم يكن شائعاً في الحضارة الإسلامية ولا اللغة العربية من عهد النبوة والراشدين مروراً بالخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية وما تلاهما من ممالك إسلامية ، حيث كان يشار للدين بمعانيه المباشرة من كتاب وسنة ، ويشار لعلماء الشرع وفق الاختصاص من قراء ومفسرين ومحدثين وفقهاء وقضاء وإخباريين لعلماء السير والمغازي وكذلك لغيرهم من أهل العلوم فهذا طبيب وذاك فيلسوف وغيرهم من كاتب وشاعر ومنجم وهكذا ، وكان يشار لمن له إلمام عام بالعلوم بصفة الأدب كأن يقال الأديب الأريب وهكذا، واختلفت الآراء حول اول من استخدم مصطلح الثقافة من الكتاب العرب، منهم من ذكر ان "سلامة موسى " في مصر-أول من أفشى لفظ ثقافة مقابل "Culture"- وقد تأثر في ذلك بالمدرسة الألمانية في تعريف الثقافة، ربطها بالأمور الذهنية، حيث عرّف الثقافة بأنها هي: " المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلّمها الناس ويتثقفون بها"، وميّز بين الثقافة "Culture" المتعلقة بالأمور الذهنية والحضارة "Civilization" التي تتعلق بالأمور المادية، ولقد عرفت اللفظة العربية بنفس المضمون الأوروبي للمفهوم، مما شجع الدعوة إلى النقل والإحلال للقيم الغربية محل القيم العربية والإسلامية انطلاقاً من مسلمات الانتشار الثقافي والمثاقفة.¹

وهناك من يرى ان أول من استخدم كلمة ثقافة هو الأديب المصري طه حسين ، وذلك في مؤلفه (مستقبل الثقافة في مصر) الذي صدر في 1938م ، ومن ثم شاعت هذه المفردة في الاستعمال فكانت تدل على الاستنارة والعلم و كما أصبحت تدل على نوع الأفكار أو القيم أو التقاليد أو الأعراف أو أسلوب الحياة الذي يغلب على مجتمع أو جماعة أو أمة بعينها، ومن ثم كثرت التعاريف لهذه المفردة وفق هذا التعدد و يقول الدكتور محمد عمارة في تعريف مفردة

(1)- كمال جاه الله خضر، مرجع سابق ذكره، ص13

ثقافة بأنها: (جماع المهارات التي تثمر عمران النفس الانسانية وتسهم في تهذيبها وارتقائها على درب المثل والمقاصد والنماذج التي صاغتتها وتصوغها العقائد والفلسفات التي يؤمن بها هذا الإنسان)، وحسب تعريف أ.د. حسن مكي "فإن الثقافة تعني سبل كسب العيش ، أو بالأحرى الرؤية الروحية والفكرية لسبل كسب العيش وما فيها من ترقية للأوضاع. ومن هذه الآراء و غيرها سوف نخرج بالنتيجة بأن القافة هي فهم و إستيعاب الايديولوجيات الحاصلة في كل فترة زمنية سبقتنا ثم صبها في قالب مؤدلج يخدم واقعنا الراهن ويصب في قضايانا المصيرية مع الاخذ بعين الاعتبار افكار ورؤى من سبقونا وتبسيط الاضواء عليها في لغة خاصة تتناغم ولغة عصرنا¹.

ويمكن أن نخلص من كل ذلك إلى أن الثقافة هي : الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات، والتعريف الثاني الأكثر بساطة هو يمكننا أن نقول أن الثقافة هي : (أسلوب الحياة) ، هذا الأسلوب الذي يمكن أن يميز فرد أو أسرة أو جماعة أو مجتمع أو أمة بعينها، وبالتالي يكون لهذا الأسلوب أوصاف معينه وأسباب ومصادر وخصائص ومقومات وما إلى ذلك، وفي مقال تحت عنوان "الثقافة مفهوم ذاتي متجدد" لخص "الدكتور نصر عارف" رأيه في مفهوم الثقافة في الادبيات العربية :

1- إن مفهوم "الثقافة" في اللغة العربية ينبع من الذات الإنسانية ولا يُغرس فيها من الخارج، ويعني ذلك أن الثقافة تتفق مع الفطرة وأن ما يخالف الفطرة يجب تهذيبه فالأمر ليس مرده أن يحمل الإنسان قيماً-تتعت بالثقافة- بل مرده أن يتفق مضمون هذه القيم مع الفطرة البشرية.

2- إن مفهوم "الثقافة" في اللغة العربية يعني البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكل القيم التي تُصلح الوجود الإنساني، ولا يدخل فيه تلك المعارف التي تفسد وجود الإنسان، وبالتالي ليست أي قيم وإنما القيم الفاضلة. أي أن من يحمل قيماً لا تنتمي لجذور ثقافته الحقيقية فهذه ليست بثقافة وإنما استعمار و تماهٍ في قيم الآخر.

(1) -حسن مكي محمد، الواقع الثقافي في السودان، دراسات إفريقية، (الرباط: دار المعرفة و التوزيع، 2003)، ص10.

3- أنه يركز في المعرفة على ما يحتاج الإنسان إليه طبقاً لظروف بيئته ومجتمعه، وليس على مطلق أنواع المعارف والعلوم، ويبرز الاختلاف الواضح بين مفهوم الثقافة في اللغة العربية ومفهوم "Culture" في اللغة الإنجليزية، حيث يربط المفهوم العربي الإنسان بالنمط المجتمعي المعاش، وليس بأي مقياس آخر يقيس الثقافات قياساً على ثقافة معينة مثل المفهوم الإنجليزي القائم على الغرس والنقل.

4- وبذلك فإنه في حين أن الثقافة في الفكر العربي تتأسس على الذات والفطرة والقيم الإيجابية، فإنها في الوقت ذاته تحترم خصوصية ثقافات المجتمعات، وقد أثبت الإسلام ذلك حين فتح المسلمون بلاداً مختلفة فنشروا القيم الإسلامية المتسقة مع الفطرة واحترموا القيم الاجتماعية الإيجابية.

5- أنها عملية متجددة دائماً لا تنتهي أبداً: وبذلك تنفي تحصيل مجتمع ما العلوم التي تجعله على قمة السلم الثقافي؛ فكل المجتمعات إذا استوفت مجموعة من القيم الإيجابية التي تحترم الإنسان والمجتمع، فهي ذات ثقافة تستحق الحفاظ عليها أيًا كانت درجة تطورها في السلم الاقتصادي فلا يجب النظر للمجتمعات الزراعية نظرة دونية، وأن نُحترم ثقافتها وعاداتها. إن الثقافة يجب أن تنظر نظرة أفقية تركيبية وليست نظرة رأسية اختزالية؛ تقدم وفق المعيار الاقتصادي -وحده- مجتمع على آخر أو تجعل مجتمع ما نتيجة لتطوره المادي على رأس سلم الحضارة¹.

ان تحليل الدكتور نصر، للثقافة العربية فيه خلط واضح بين مفهوم الثقافة الاسلامية والعربية، فاذا كان بناء الثقافة علي الفطرة فان ذلك يجب ان يشمل كل الثقافات، لان كل مولود يولد علي الفطرة، والدليل علي ذلك تناوله لسلوك عند فتح الاندلس، والمعلوم ان للبيئة اثر علي ثقافة لفرد، لذلك نجد ان الثقافة العربية قبل الاسلام كان طابعها العنف، واطهار القوة والقهر، بالرغم من وجود قيم الجود، والكرم، والقرى.. خلاصة القول ان مفهوم الثقافة في

(1)- كمال جاه الله خضر، مرجع سابق ذكره، ص25.

الادبيات العربية علي علاقة عضوية مع مفهوم "culture" لدي الغرب، بل يتطابق المفهومان في كثير من خصائصهما¹.

2-تطور مفهوم الثقافة:

إن كلمة culture تعني في الأصل الزراعة والفلاحة، وقد تطور مدلولها ابتداء من القرن السادس عشر لتقيد معنى مجازيا هو تنمية بعض القدرات العقلية بالتدريب والمران، ثم لتدل بعد ذلك على مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية روح النقد والقدرة على الحكم، ولقد تطور المصطلح إذا: من زراعة الأرض واستغلال خيراتها إلى تدريب الفكر وجني ثمراته، وأصبح يشير بصورة واضحة إلى تحسين أو تعديل المهارات الفردية للإنسان لاسيما من خلال التعليم والتربية، ومن ثم إلى تحقيق قدر من التنمية العقلية والروحية للإنسان والتوصل إلى رخاء قومي وقيم عليا وسرعان ما وقع التأكيد على أن مدلولها في ميدان الفكر يجب أن ينصرف إلى فعل الإنتاج أكثر من الإلحاح على الإنتاج نفسه، بمعنى أن المقصود منها يجب أن يكون ما يكسبه العقل من قدرات على التفكير السليم والمحاكمة الصحيحة، بفضل المعارف التي يتلقاها، والتجارب التي يخوضها، لا ما يضمه الفكر بين طياته من معارف ومعلومات ولقد ألح كثير من الكتاب الفرنسيين منذ عهد النهضة على هذا المعنى ويكفي أن نشير إلى تلك التفرقة الشهيرة التي أقامها مونتني Montaigne بين ما سماه "الرؤوس المصنوعة جيدا" وما أطلق عليه: "الرؤوس المملوءة جدا" مفضلا الأولى على الثانية، ولعل الكثيرين منا سمعوا أيضا بذلك التعريف الطريف الذي أعطاه Herriot لثقافة حين قال: إنها ما يبقى لدينا بعد أن ننسى كل شيء².

و يستعمل علماء الأنثروبولوجيا، خاصة الإنجلوساكسون منهم كلمة الثقافة علي إنها تدل على مختلف المظاهر المادية والفكرية لمجموعة بشرية معينة تشكل مجتمعا بالمعنى السوسيولوجي للكلمة، يقول *تايلور³ Taylor ، في نص متداول بكثرة: إن الثقافة هي ذلك

(1)- نصر عارف، الثقافة مفهوم ذاتي متجدد ، مقال، من الموقع:

http://www.khayma.com/almoudaress/takafah/takafah.htm ،تاريخ الإطلاع: 2016/06/07

(2)- المرجع نفسه، ص12.

* إدوارد برنت تايلور (1832-1917): عالم إنساني و بريطاني أصبح أستاذا لعلم الإنسان في جامعة أكسفورد، أسهم في دراسة الثقافة و كان أحد رواد الإتجاه التطوري.

المركب الكلي الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات وأي قدرات وخصال يكتسبها الإنسان نتيجة وجوده عضواً في مجتمع، وفي عام 1870 قام هذا الأخير بتطبيق أفكار الثقافة الأعلى في مقابل الثقافة الأدنى في محاولة من شأنها اقتراح نظرية التطور الديني، وطبقاً لهذه النظرية يتطور الدين لدى الفرد من شكل الشرك المتعدد إلى شكل التوحيد المطلق و أعاد تايلور في هذه العملية تعريف الثقافة بأنها مجموعة متنوعة من الأنشطة المميزة لجميع المجتمعات البشرية وبذلك مهدت وجهة النظر هذه الطريق لفهم الثقافة الحديثة.

إن فكرة "الثقافة" التي نشأت في أوروبا إبان القرنين الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر عكست بدورها حالة من عدم المساواة داخل المجتمعات الأوروبية، والتي لا تخلو في باطنها من الاستعلاء الثقافي فكما ارتبطت الممارسات بأنماط الحياة البدوية، فإن كلمة "ثقافة" اتسمت بكل ما تعنيه كلمة "حضارة" من معنى، ويعد الاهتمام بالفلكلور الشعبي هو من أهم ما يميز الحركة الثقافية وهو ما أدى بدوره إلى تعريف كلمة "ثقافة" بين العامة من غير النخب، وهذا التمييز يشبه ذلك التمييز الموجود بين عليّة القوم من الطبقة الاجتماعية الحاكمة وعامة الناس، ويرى توماس هوبس¹ (Thomas Hobbes) و**جان جاك روسو- (Jean-Jacques Rousseau) **، تناقضا بين مفهوم الثقافة و حالة الإنسان الطبيعية وبالنسبة إلى هوبز وروسو فيرى كلا منهما أن سكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر والذين تعرضوا للغزو من قبل الأوروبيين بداية من القرن السادس عشر كانوا يعيشون بدافع الغريزة أو الفطرة، وقد تم التعبير عن هذا من خلال التناقض بين المتمدنين وغير المتمدنين، ووفقاً لهذه الطريقة في التفكير فيمكن للمرء أن يصنف بعض الدول والشعوب على أنها أكثر تحضراً من غيرها وأن يصنف بعض الناس على أنهم أكثر ثقافة من غيرهم بالرغم من عدم وجود معايير متفق عليها من قبل العلماء والباحثين ، يمكن أن تشكل أساس

*توماس هوبز: كان عالم رياضيات و فيلسوف إنجليزي، و يع من أكبر فلاسفة القرن السابع عشر، واشتهر في مجال القانوني.

**جان جاك روسو: هو كاتب و فيلسوف جنيفي، ساعدت فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية أثرت أعماله في التعليم و الآداب.

لتقييم ثقافة مجتمع ما، وتحديد الطبقة التي يمكن ان تنتمي اليها...! ويرى الباحث أن مصدر التناقض في ان معظم هؤلاء العلماء ينطلق في تحليله للثقافة من بيئته الثقافية ومرجعه الاساسي في ذلك مدي استيعابه لواقعه الاجتماعي ، ومن ثم أدى هذا التناقض إلى توصل "لويس هنري مورغان Lewis Henry Morgan " إلى نظريته التطور الثقافي، وعلى هذا النحو فقد أشار بعض النقاد إلى أن التمييز بين الثقافات المتحضرة والمتخلفة يعزى في واقع الأمر إلى وجود حالة من الصراع بين الصفوة من الأوروبيين وغيرهم ممن هم ينتمون إلى طبقة اجتماعية أدنى، ومنهم "الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد، اشار للخطر الذي سماه "الخلط بين الثقافة والفوضى" ، وقام أرنولد بتشخيص المجتمع البريطاني باعتباره يتكون من ثقافات عدة قسمها بحسب التوزيع الطبقي الذي جعله من ثلاثة طبقات عامة أولاً : البربر (الطبقة العليا) وثانياً : الانتهازيون (الطبقة الوسطى) و ثالثاً : الرعاع (الطبقة العاملة)" ، هذا كما أرجع بعض النقاد الفجوة بين الشعوب المتحضرة وغيرهم من الشعوب الغير متحضرة إلى الصراع القائم بين كلا من الإمبراطورية البريطانية من جهة وبين رعاياها من جهة أخرى، وقد وافق بعض من نقاد القرن التاسع عشر ممن اعقبوا روسو على هذا الاختلاف بين ثقافة ما عرف بالأعلى والأدنى ولكنهم في الوقت ذاته أقرروا بأن محاولة التعديل والتكلف في صياغة قالب من الثقافة عالية المستوى على أنه افساد بل ومحاولة تعديل في غير موضعه والذي من شأنه جلب المفسدة والتشوه لفطرة الله التي فطر الناس عليها، ويعتبر هؤلاء النقاد أن الموسيقى الشعبية أو ما يعرف بالفلكلور (والتي تنتجها أفراد الطبقة العاملة) تعبيراً صادقاً عن شكل من أشكال الحياة الطبيعية، في حين تبدو الموسيقى الكلاسيكية سطحية ومنحلة، وبنفس القدر تصور وجهة النظر هذه الشعوب الأهلية على أنها "نبلاء بدائيون" حيث يعيشون حياة فطرية غير معقدة لا تشوبها شائبة، ولم تعبت بها أيدي أنظمة الغرب الفاسدة الطبقيّة الرأسمالية.

وعلى العموم إن كلمة "ثقافة" في الاصطلاح الأنثروبولوجي تعني ما نعبر عنه نحن اليوم بـ "حضارة"، إنها ليست البناء الفكري وحسب بل إنها أيضاً السلوك الفردي والمجتمعي وما يرتبط بهما من تقاليد وأعراف وأخلاق، وقد يضاف إلى ذلك كله أدوات العمل والإنتاج.¹ وبحلول القرن العشرين، برز مصطلح "الثقافة" للعيان ليصبح مفهوماً أساسياً في علم

(1)- نصر عارف، "الثقافة مفهوم ذاتي متجدد"، مرجع سابق ذكره، ص13.

الانثروبولوجيا، ليشمل بذلك كل الظواهر البشرية التي لا تعد كنتائج لعلم الوراثة البشرية بصفة أساسية، وعلى وجه التحديد، فإن مصطلح "الثقافة" قد يشمل تفسيرين في الأنثروبولوجيا الأمريكية:

التفسير الأول: نبوغ القدرة الإنسانية لحد يجعلها تصنف وتبين الخبرات والتجارب بطريقة رمزية، ومن ثم التصرف على هذا الأساس بطريقة إبداعية وخلاقية.

التفسير الثاني: فيشير إلى الطرق المتباينة للعديد من الناس الذين يعيشون في أرجاء مختلفة من العالم والتي توضح وتصنف بدورها خبراتهم، والتي تؤثر بشكل كبير على تميز تصرفاتهم بالإبداع في الوقت ذاته.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، صار لهذا المفهوم قدر من الأهمية ولكن بمعاني مختلفة بعض الشيء في بعض التخصصات الأخرى مثل علم الاجتماع، والأبحاث الثقافية، وعلم النفس التنظيمي، وأخيرا الأبحاث المتعلقة بعلم الإدارة.

وقد إعتمدت الحركة الاستعمارية في القرن التاسع عشر علي دراسات الانثروبولوجيين للمجتمعات المستعمرة، في ادارة هذه المجتمعات انطلاقا من الثقافة المحلية للمجتمع، ولقد ساعد ذلك علي تقليل التكاليف الادارية، وكفاءة جباية الاتاوات والضرائب واحتواء حركات التمرد (الثورات) علي السلطة المركزية.

وعليه يري الباحث انه يمكن استخدام كلمة "ثقافة" في التعبير عن أحد المعاني الثلاثة الأساسية التالية:

- التدنوق المتميز للفنون الجميلة والعلوم الإنسانية وهو ما يعرف أيضا بالثقافة عالية المستوى.
- نمط متكامل من المعرفة البشرية، والاعتقاد، والسلوك الذي يعتمد على القدرة على التفكير الرمزي والتعلم الاجتماعي.
- مجموعة من الاتجاهات المشتركة، والقيم، والأهداف، والممارسات التي تميز مؤسسة أو منظمة أو جماعة ما.¹

(1)-نصر عارف، "الثقافة مفهوم ذاتي متجدد"، مرجع سابق ذكره، ص14.

اما في العصر الحديث، ذكرت سلوان داود "أن الشاعر "اليوت" من أشهر من اهتم بموضوع الثقافة منذ بدايات القرن العشرين ومن اجل ادراك الثقافة وضع اليوت شروطا ثلاثة اذا ما تحققت تم بها تحقيق الثقافة ، اولا البناء العضوي ويرى انه يساعد على الانتقال الوراثي للثقافة داخل ثقافة ومجتمع معينين ، ثانيا القابلية للتحليل ويرى وجوب ان تكون الثقافة (من وجه النظر الجغرافية) قابلة للتحليل الى ثقافات محلية (البعد الاقليمي للثقافة)، ثالثا التوازن بين الوحدة والتنوع في الدين ويرى ان هذا الشرط مهم لأنه في الكثير من الثقافات لا يمكن افعال او تهميش عامل الدين ، وفي هذا السياق اضاف اخرين الى ان الثقافة سياسة وتربية وفي النسخة الالكترونية لكتابه "مفهوم الثقافة " ذكر الدكتور خليل الحدي ان "اليوت" قال: إن ما أعنيه بالثقافة هو ما يعنيه الأنثروبولوجي وهي أنها طريقة حياة أفراد شعب معين يعيشون معاً في مكان واحد وتظهر هذه الثقافة في فنونهم وفي نظامهم الاجتماعي وفي عاداتهم وأعرافهم ودينهم"، ويرى الدكتور خليل انها دلالات يختلط بعضها ببعض وتتراوح الكتابة عنها بين: الموقف الجدلي، والموقف المثالي الطوبوي، والموقف الذي يفرضه منهج البحث الأمبيرقي؛ (منهج البحث في العلوم الطبيعية)؛ واورد مثال لذلك، محاولة "اليوت" إثبات أن الطبقة العليا "High Class" أو الأرستقراطية التي يتوارث أهلها الثروة والنفوذ شرط ضروري لازدهار الثقافة، وكذلك في تفكير اليوت بين الطبقة والنخبة أي الصفة "Intelligentsia"، والغريب أنه يرى أن الطبقة الأرستقراطية شرط ضروري لازدهار الثقافة بإطلاق دون إيلاء أدنى اعتبار للظروف التاريخية لكل ثقافة ودون ذكر للكفاءة الخاصة التي يجب أن يمتلكها أهل الطبقة الأرستقراطية وإعمال هذه الكفاءة في الرقي الثقافي، وذلك حيث يقول عن وظيفة الطبقة الأرستقراطية إنها ليست إلا المحافظة على مستويات الآداب الاجتماعية وهي عنصر حيوي في ثقافة الفئة، وفي المحصلة نجد إجماع ضمني من علماء الانثروبولوجيا على أن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة، والمعتقد ، والفن ، والخُلق ، والقانون ، والعادات الاجتماعية وطبائع اكتسبها الإنسان كعضو في مجتمعه، وبعدئذ دأب هؤلاء على تقديم العديد من التحسينات والتباينات على هذا

التعريف العام لمعنى الثقافة لكن الأهم هو أن الجميع اتفقوا على أن الثقافة هي سلوك تعليمي كثيراً ما يتناقض مع السلوك الموهوب تراثياً¹.

ولكن بالرغم من التطور الذي حدث لمفهوم الثقافة في الفكر الغربي، إلا أن في أواخر القرن العشرين ظهر دعاة الثقافة العالمية الموحدة (العولمة) بمعنى أن نمط الحياة الغربي وما يحتويه من سلوك يعتبر الأرقى والأفضل وأنه يجب على كل المجتمعات أن تحذو حذو هوكان علي رأس هؤلاء الدعاة، فرانسيس فوكوياما (ياباني الأصل أمريكي الجنسية) في مقال تحت عنوان "نهاية التاريخ" والذي تنبئ فيه بنهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مجريات الأمور في العالم، ثم لاحقاً صدر له كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير، End Of History and The Last man" والذي روج فيه لفكرة إن ما وصل إليه الغرب يمثل نهاية الرقي البشري والحضارة الإنسانية.²

(1)- نصر عارف، مرجع سابق ذكره، ص15.

(2)- مقال لسعيد إبراهيم عبد الواحد، "مفهوم الثقافة"، من الموقع:

<http://www.arabworldbooks.com/Articles/articles50.htm>، تاريخ الإطلاع: 2016-06-07

3- إنتشار الثقافة:

تمتاز الثقافات بقدرتها على الانتقال من منطقة لمنطقة نتيجة لإتصال المجتمعات ببعضها البعض ، عن طريق الغزو أو بالهجرة و طرق سلمية أخرى، مثل التبادل التجاري، ولقد جدت طرق انتشار "الثقافة" الاهتمام من علماء الآثار و الانثروبولوجيا، و يعتبر "اليوت سميث Elliott Smith" و "وليام جراهام سمنر William Graham Sumner" من أهم علماء المدرسة "الإنتشارية" Diffusion's School الذين حاولوا ان يبرهنوا على انتشار الثقافه المصريه القديمه لمناطق كثيره فى العالم ، و حاول ثور هيردال Thor Heyerdahl عملياً إثبات إمكانية إنتشار الثقافه من منطقه لمنطقه بعيدة عبر المحيط، ووصول الثقافه المصريه القديمه الي مكسيك التي عرفت الأهراماتايضا، و فى ثقافتها عناصر تشبه عناصر الحضاره المصريه القديمه مثل التحنيط ، و يفترض دعاة هذا الاتجاه أن الاتصال بين الشعوب المختلفه قد نتج عنه احتكاك ثقافي وعملية انتشار لبعض السمات الثقافية أو كلها وهو ما يفسر التباين الثقافي بين الشعوب¹.

وينطلق دعاة هذا الاتجاه من الافتراض بأن عملية الانتشار تبدأ من مركز ثقافي محدد تنتقل عبر الزمان إلى أجزاء العالم المختلفه عن طريق الاتصالات بين الشعوب، وبما أن نظرية الانتشار الثقافي تسعى إلى الكشف عن حلقات لربط الثقافات معاً نتيجة تفاعلها جغرافياً وزمنياً فإنها تلتزم أيضاً بالمبدأ التاريخي في علاقات الثقافات بعضها ببعض الآخر، وقد ظهرت في أوروبا مدرستان للانتشار الثقافي و كان فريدريك راتزل رائداً للمدرسة الأولى وتبني منهجاً تاريخياً-جغرافياً بتأثير المدرسة الجغرافية الألمانية وركز على أهمية الاتصالات والعلاقات الثقافية بين الشعوب ودور تلك العلاقات في نمو الثقافة، أما هاينريخ شورتز فقد أبرز فكرة وجود علاقات ثقافية بين العالم القديم (اندونيسيا وماليزيا) وبين العالم الجديد (الأمريكتين)².

(1)- نصر عارف، مرجع سابق الذكر، ص18.

(2)- كمال جاه الله خضر، مرجع سابق ذكره، ص31

وقد طور ليو فروبينيوس فكرة انتقال الثقافات عبر المحيطات بادعائه حدوث انتشار ثقافي من اندونيسيا إلى أفريقيا، بهذا يكون ليو فروبينيوس أول من أدخل مفهوم "الدائرة الثقافية" في الانثولوجيا وهو المفهوم الذي نال تطوره اللاحق في أعمال جراييز فكرة أحادية منشأ الثقافة الإنسانية مفترضاً وجود عدة مراكز ثقافية أساسية في جهات مختلفة

من العالم.. وبفعل التقاء الثقافات نشأت دوائر ثقافية وحدثت بعض عمليات الانصهار وبرزت تشكيلات مختلفة وهو الأمر الذي يفسر الاختلافات البادية في الثقافات الأساسية.

ويرى ب.حسن مكي، ان انتشار ثقافة العربية والاسلامية في دارفور ارتبط بطريق الحج، حيث ذكر ان قوافل الحج كانت تمثل حراكاً سكانياً فكأنها مدن مهاجرة فيها الأمراء وقواد الجيش والفقهاء والنساک والنساخ والفعيلة وأهل الصناعات والتجار وطالبوا المغامرة وكسب العيش والصوفية، فكانت مدناً متحركة وطنت الفقه المالكي والطريقة التيجانية وكثيراً من ثقافات ما يسمى بالإسلام الأسود المختلط بالسحر والتعاويذ في هذه المنطقة، ومثل "طريق الحج طريق التمكين لهذه الثقافة حيث كان الحجاج المسلمون يأتون من تمبكتو وما جاورها ثم يمرون بكانو ثم بأرض تشاد الحالية عبر هضبة أبشي ثم إلى دارفور ثم ينتشرون في السودان. ويرى الباحث أن حسن مكي في هذا يؤكد ما ذهب اليه علماء الانثروبولوجيا الغربيين في فهمهم لطرق انتشار الثقافة.¹

(1)-حسن مكي محمد، مرجع سابق ذكره، ص18

4- انتقال الثقافة:

تتكون المجتمعات الإنسانية من مجموعات منظمة من الأفراد هم غالباً من الجنسين ومن مختلف الأعمار ، ولهم منظومة من القواعد السلوكية التي تنتقل من جيل إلى جيل آخر. هذا الكلام ينسحب على مناح أخرى من الحياة حتى يصل إلى الكائنات غير الحية مثل العديد من الحيوانات ومن ضمنها ثدييات وحشرات ، فهذه لها أيضاً مجتمعات ، إلا أن طريقتهما في نقل السلوك الاجتماعي تختلف في أساسها عن طرق المجتمعات البشرية تلك. الحشرات تنقل سلوكها الاجتماعي بالوراثة البيولوجية¹.

يتم تعلم السلوك الإنساني إما كلياً أو يتم تعديله تعديلاً جذرياً عن طريق التعلم الاجتماعي، وحتى هذه المناحي البيولوجية القوية أو الغرائز مثل الجنس والجوع يتم تعديلها وتطويرها بالثقافة، فمثلاً نجد ان نسق "الحلال والحرام taboo system" يقوم بتقنين السلوك الجنسي عملياً باستخدام تعبيرات تعكس دلالات العيب الاجتماعي في كل المجتمعات الإنسانية، بل وربما يرفض الناس الجياح الطعام الذي ينتهك حرمتهم الدينية (ما يعتبر عيباً دينياً) مثل أكل لحوم الكلاب والقطط الشائع بين شعوب جنوب شرق آسيا، أو لحم الخنزير الشائع بين شعوب أوروبا وأمريكا اللاتينية أو ينتهك قوانين الحماية الغذائية أو ينتهك ما يعتبرونه بغيضاً لثقافتهم كأكل الضفادع وبعض الحشرات الأخرى².

(1) - نصر عارف ، الثقافة مفهوم ذاتي متجدد، مرجع سابق الذكر، ص21

(2) - مرجع نفسه، ص22.

5-مستقر الثقافة ومستودعها:

يرى د.سعيد ابراهيم*، ان متابعة تصور الثقافة لدى علماء الأنثروبولوجيا في الكتابات الغربية يثير الحيرة لدى الباحث، تتمثل في نقطة البدء في دراسة الثقافة لمعرفة الصفات المشتركة بين افراد المجتمع، بما يسوّغ الحديث عن نمط ثقافي؛ ويمكن التعبير عن هذه الحيرة بالتساؤل الذي يتردد طرحه: هل الثقافات كيان موجود فعلاً، ويمكن متابعة تأثيره في أبناء الثقافة؟ أم أنها تجريد عقلي يخلص إليه الباحثون من دراساتهم النفسية للأفراد؟.

وهذا السؤال يعني أن التساؤل دائر حول مستقر الثقافة ومستودعها، وقد حاول "رالف لنتون" أن يجيب عن هذا التساؤل فهو يرى: أن الثقافة شيء غير ملموس وأن استيعابها عن طريق الإدراك المباشر أمر غير ممكن حتى للأفراد الذين شاركوا في صنعها، وأن شكل الثقافات ومحتواها أمر لا يمكن استخلاصه إلا من السلوك الذي ينشأ عن هذه الثقافات ، وهذا يعني أن الثقافة ظاهرة تقع خارج نطاق الظواهر الطبيعية وأن إدراكها يكون بإدراك الآثار التي تحدثها في حياة الناس المادية والنفسية والاجتماعية ويمكن القول إن مستقر الثقافة ومستودعها هو عقول أبنائها ووجدانهم بكل ما تحوي من: معتقدات، وأفكار، ومعارف، وقيم، وتوجهات، واتجاهات، وبما يتمثل في سلوكياتهم العملية من مهارات عقلية وفنية وتقنية مختلفة، وما ينتج عن هذه المهارات من منجزات متنوعة.

الثقافة إذن تمثل روح الجماعة أو الأمة وهي القدر العقلي والوجداني المشترك بين أبناء الثقافة الذي ييسر لهم التعايش، والتكافل والتناصح والاعتماد المتبادل في كثير من شئون الحياة، يحدث هذا على الرغم من تباين ما يحوزه الأفراد في المجتمع من محتويات ثقافتهم، والثابت أن الثقافة حتى في أبسط أشكالها تضم محتويات لا يستطيع عقل فرد واحد أن يستوعبها بصورة كاملة؛ وإن يكن أبناء كل ثقافة قادرين على الإلمام بعدد من عناصر ثقافتهم وإن لم يستطيعوا التعبير عنها لأن هذا ليس مطلوباً منهم.

*سعد إبراهيم الواحد: هو أستاذ للأدب الإنجليزي و النقد، بجامعة الأزهر، غزة

المطلب الثاني: خصائص الثقافة ومكوناتها و وظيفتها:

1- خصائص الثقافة:

علي الرغم مما يظهر بين الثقافات من اختلاف أو تباين فهناك بعض الخصائص العامة لجميع الثقافات هذه الخصائص التي تستند إلي المفهوم العام الشامل للثقافة ومن هذه الخصائص العامة:

الاولى: الثقافة ذات خاصية مادية ومعنوية معا : ثقافة المجتمع تحدد نمط وأسلوب الحياة في هذا المجتمع، والعناصر المادية هي عبارة عن تلك العناصر التي أتت نتيجة للجهد الإنساني العقلي والفكري وفي نفس الوقت لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها إلا بما يحيطها من معاني وأفكار واتجاهات ومعارف وعادات هذا فضلا عن أن العناصر المادية تؤثر بدورها في مفاهيم الأفراد وقيمهم واتجاهاتهم وعلاقاتهم أي أن الإحالة متبادلة بين العناصر المادية واللامادية داخل البناء الثقافي ومن ثم فإن البناء الثقافي يشمل العنصرين معا في آن واحد.

الثانية: الثقافة عضوية : هنالك علاقة عضوية، بين كلا من العناصر المادية وغير المادية، كل عضو يؤثر في غيره من العناصر، كما يتأثر به، فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح كما أن النظام التعليمي يتأثر بالنظامين معا ويؤثر فيهما ومن جهة ثانية فإن العادات والتقاليد تؤثر في نظام الأسرة من حيث طريقة الزواج والعلاقة بين الكبير والصغير وإذا تغير أي عنصر من هذه العناصر فإنه سيتبعه تغيرا حتميا في النظم الأخرى أضف إلي هذا أن التغير في أساليب المعيشة يتبعه تغييرا في القيم والعادات ومن ثم فإن عناصر الثقافة يرتبط بعضها ببعض ارتباطا عضويا يتسم هذا الارتباط بالديناميكية وليس بالاستاتيكية.¹

الثقافة مكتسبة -: الثقافة ليست فطرية في الإنسان بل يتعلمها الأفراد وينقلونها من جيل إلي جيل ويخطئ من يذهب إلي اعتبار الثقافة فطرية في الإنسان يكتسب الثقافة منذ سنواته

(1)-سعد إبراهيم الواحد، مرجع سابق ذكره،ص34.

الأولى حتى تصبح جزءا من شخصيته كما يصبح هو عنصرا من عناصر هذه الثقافة. ولقد اكدت الثقافة الاسلامية هذه الخاصية .

الثقافة تراكمية : تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك أن الإنسان يبدأ دائما من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلى آخر فمثلا تتطور اللغة تراكمي يأخذ طريقا غير تراكم القيم وغير تراكم التطور العلمي والتكنولوجي ومعنى هذا أن الإنسان لا يبدأ حياته الاجتماعية والثقافية من العدم وإنما يبدأ من حيث انتهت الأجيال التي ينتمي إليها ومن التراث الاجتماعي الذي يعبر عن خبرات الأجيال السابقة .

إمكانية انتقال عناصر الثقافة بالاحتكاك : فكلما زاد الاحتكاك والتعامل بين مجتمع وآخر كلما زادت درجة الانتقال الثقافي بين هذين المجتمعين ولكن المجتمع ذو الثقافة الأقوى والأفضل يؤثر بدرجة أكبر في المجتمع ذي الثقافة الأقل نجاحا وقوة وبالتالي فالثقافة ديناميكية متغيرة. ومن ذلك يمكن ان نستنتج ان "الثقافة" إنسانية أي خاصة بالإنسان فقط فهي من صنع الإنسان وتشبع حاجاته، و إنها مكتسبة، و قابلة للانتقال والانتشار من خلال اللغة والتعليم ووسائل الاتصال الحديثة وتنتقل من جيل إلى جيل من فرد إلى فرد في المجتمع، وهي تطويرية ومتغيرة فهي في نمو مستمر وتغير دائم، وانها تكاملية(تتكامل فيها العناصر المادية مع المعنوية)، و تنبئية (تساعد في التنبؤ بسلوك الفرد في المجتمع)، وايضا نجد ان التراكمية في الثقافة تساعد في ظهور انساق جديدة¹.

(1)- سعد إبراهيم، مفهوم الثقافة، مرجع سابق، من الموقع: <http://www.arabworldbooks.com/Articles/articles50.htm>

2- محتوى أومكونات الثقافة:

ومن الحقائق المستقرة في الدراسات الأنثروبولوجية أن أي مجتمع متجانس يمكن تقسيم محتوى ثقافته إلى ثلاث فئات تعتمد على مدى اشتراك أعضاء المجتمع في كل من هذه الفئات الثلاث علي النحو التالي:

أ- العموميات Commons :

وتتضمن هذه الفئة المعتقدات الدينية والقيم الخلقية والمعارف الطبيعية والاجتماعية العامة التي يشترك فيها جميع أعضاء المجتمع البالغين العقلاء. وتشمل هذه الفئة - أيضًا - اللغة القومية، وأنماط العلاقات داخل الأسرة (توزيع الادوار بين افراد الاسرة)، ونماذج المساكن، والمنشآت المختلفة، ونسق العلاقات الاجتماعية في السياقات والمواقع الاجتماعية المتنوعة .

ب- الخصوصيات Specialties :

وتحتوي هذه الفئة على العناصر الثقافية التي يتقاسمها أعضاء جماعات معينة من الأفراد؛ وليست حيازة مشتركة لمجموع أبناء المجتمع؛ ولكنها تظهر باعتراف المجتمع واحترامه أوهي مجموع العادات والقيم والأنظمة والأساليب التي تختص بها جماعة محددة في المجتمع، وتعمل على ممارستها بشكل واضح دون غيرها من مكونات المجتمع الأخرى، كالبرامكة، فلهم طقوس محددة يحترمها مجتمع محلية زالنجي من غير ان يشارك فيها، مثلاً في حالة مخالفة طقوس شرب الشاي مثلاً يحكم علي المخالف، بعقوبة معينة او غرامة مالية، ينفذها الفرد عن رضى، ويمكن ان يُعزل إجتماعيا الشخص الذي يرفض تنفيذ الحكم ويُنبذ.

ج- البدائل / المتغيرات Alternatives : وتتضمن المحتويات الثقافية لهذه الفئة الأفكار والعادات والممارسات غير الشائعة في المجتمع؛ وإنما تقتصر على فئة من فئات السكان المعترف بها اجتماعياً¹.

ويستدرك علماء الأنثروبولوجي على هذا التقسيم لمحتويات الثقافة بملاحظة أن ثمة فئة رابعة من العادات والأفكار والاستجابات العاطفية المشروطة، توجد خارج الثقافة، وهي ذات أثر بالغ في تحريك الثقافة ونقلها إلى مستويات أرفع في المجالات المختلفة، ويقصد بهذه الفئة من العوامل "المزايا الفردية Individual merits" التي يحوزها بعض الأفراد في

(1)- محمد أمين العالم، الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية، (القاهرة، مصر: دار المستقبل العربي، 1998)، ص15.

الثقافة سواء فيما يتصل بالعقائد أو المعارف أو المهارات أو العادات الجسدية أو العقلية أو الفنية والتقنية¹.

3- وظيفة الثقافة:

إن القيمة الحقيقية للثقافة المحلية في أي مجتمع من المجتمعات تكمن في كونها ترتبط بالحياة اليومية للناس فتضع لهم الضوابط والقيم وتحدّد العلاقة في ما بينهم وترسم لهم الرؤية والسلوك الذي يستهدف خير المجتمع والدولة. ومتى نجحت الثقافة في القيام بهذه المهمة حق لأهلها الحفاظ عليها والتمسك بها، والاستماتة في الدفاع عنها. فتقدم الأمة أو تأخرها مرتبط إلى حد كبير بنوع ما فيها من ثقافة. وجاء في موسوعة مقاتل الإلكترونيّة: "تحدد ثقافة أي مجتمع أسلوب الحياة فيه، سواء من ناحية وسائل الإنتاج والتعامل والأنظمة السياسية والاجتماعية، أو من ناحية الأفكار والقيم والعادات والتقاليد وآداب السلوك، وغير ذلك" وتُعبّر عناصر الثقافة في أي مجتمع عن خلاصة التجارب والخبرات، التي عاشها الأفراد في الماضي، مشتملة على ما تعرضوا له من أزمات، وما حدوده من أهداف، وما استخدموه من أساليب، وما تمسكوا به من قيم ومعايير، وما نظموا من علاقات. وبهذا المعنى تُعدّ الثقافة أساساً للوجود الإنساني للفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه. ومن وظائف الثقافة المتعددة، إذ توفر للفرد صور السلوك والتفكير والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها وسائل إشباع حاجاته العضوية البيولوجية والسيكولوجية الاجتماعية².

(1)- محمد أمين العالم، مرجع سابق، ص 17.

(2)- حليم سعد، دور الثقافة في الإدراك في العلاقات الدولية، (القاهرة، مصر: الجمعية المصرية للنشر و المعرفة، 2004)، ص 102-103.

المطلب الثالث: علاقة مفهوم الثقافة بالمفاهيم الأخرى (الحضارة-الهوية-

الإيديولوجية):

أ- الثقافة و الحضارة:

إن تعريفنا للحضارة فإنها تعتبر الطريقة للحياة و ما نشأة من عليه حياة الناس عنذما بدأ الناس يسكنون في المكن و يعيشون بها أو كالمجتمعات التي نظمت على شكل دول .فالحضارة و ماتشمله من فن و عادات و تقنية و ما تتخذه بشكل من أشكال السلطة و كل شيء آخر قد يدخل إلى طريقة حياة المجتمع¹.

كما أن الحضارة في اللغة العربية كلمة مشتقة من الفعل حضر، ويقال الحضارة هي القرى و الأرياف و المنازل المسكونة، فهي خلاف البدو و البداوة و البادية وتستخدم اللفظة في الدلالة على المجتمع المعقد الذي يعيش أكثر أفراده في المدن و يمارسون الزراعة على خلاف المجتمعات البدوية ذات البنية القبلية التي تنتقل بطبيعتها .

و قد ذهب موسوعة "the world book encyclopedia" إلى أن مصطلح الحضارة يستخدمه الإجماعيون في التعبير عن الحياة لشعب ما، بحيث أنها تنقسم إلى الأفكار و الأشياء و طرق تحقيق الأهداف التي تضعها الجماعة لنفسها و من ثم فإنها تتضمن اللغة و الفن و العقيدة و العرف و التقاليد و الخترعات التكنولوجية ، و هي تتركب من طرق مكتسبة من التصرف و الشعور و التفكير أكثر منها طرق بيولوجية مفروضة على الإنسان².

(1)- عبد الرحمان خليفة، المدخل في الإيديولوجية و الحضارة، (الإسكندرية، مصر: مكتبة بستان المعرفة، 2006)، ص104.

(2)- عبد الرحمان خليفة، مرجع سابق ذكره، ص105.

اما مالك بن نبي عرف الحضارة أنها "هي مجموع الشروط الأخلاقية و المادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفرادها، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه" ففي مجتمع الحضارة يتوفر مناخ الحرية و الحماية للفرد ، و تقدم الحضارة لأبنائها كل ما يحفظ وجودهم ، و يقيهم من الانحدار في مختلف المجالات الفكرية و الإقتصادية. فالحضارة توفير لإحتياجاته و حفاظا على شخصيته الوطنية و الدينية، و إعتد بن نبي في تعريفه للحضارة على منهجين: المنهج التحليلي التركيبي - المنهج الوظيفي للحضارة¹.

وإذا كنا قد أرتضينا لأنفسنا مدخلا معيناً للتفريق بين الحضارة و الثقافة حين يغلب على الأولى كل ما يتصل بالأمور المادية من الأنشطة البشرية، فأغلب الظن أننا لن نذهب إلى ما ذهب إليه وليم أو جبن و هو يفرق في الثقافة بين مجالين ،الأول يضم الجانب المادي أي مجموع الأشياء و أدوات العمل و الثمرات التي تخلقها ، و الثاني و يشمل الجانب الإجتماعي كالعقائد و التقاليد و العادات و الأفكار و اللغة و التعليم، من وجهة نظر هذه هي علاقة متبادلة يتحدد فيها سلوك الفرد بنمط الحياة السائدة في المجتمع، ثم أن أسلوب الحياة بصورة عامة يتشكل عن طريق تصرفات الأفراد في المجتمع، و عليه نستطيع أن نقول أن ثقافة بلد ما إنما هي أسلوب الحياة السائد في هذا البلد الذي يمكن أن يجسده الإنسان بأقوال و أفعال تستطيع عن طريقها أن تحكم على هوية و إنتماءات و قومية ذلك الإنسان.

وطالما أننا في معرض التفريق بين الثقافة و الحضارة فلا بد من الإشارة إلى المحاولة التي تناولها ماكيفر في كتابه عن المجتمع و التي يلخصها في النقاط التالية:

أولاً: الحضارة دون الثقافة معيار دقيق، حيث تخضع لمعيار الفعالية، فبمقارنة نتائج الحضارة نستطيع أن ننسب إليها التفوق أو الإنحطاط.

ثانياً: الحضارة في تقدم مستمر خلافا للثقافة، حيث أنها تتطور بصورة فعالة مفترضة في ذلك استمرارية العمل الإجتماعي.

(1)- مالك بن نبي، مفهوم الحضارة، (بيروت، لبنان: دار النشر، 2005)، ص4.

ثالثا: أن الحضارة خلافا للثقافة تثقلم بدون مجهود، حيث تنتقل الثقافة في نطاق المجتمع وفقا لمبدأ يختلف عن المبدأ الذي يحدد الحضارة.

رابعا: إن الحضارة خلافا للثقافة تستعار بدون تغيير ، فنقل العناصر الثقافية من إحدى الناطق الى أخرى يختلف عن نقل النسق أو النظام الحضاري، حيث من السهل الحكم على جهاز ما بأنه أفضل للصحة مثلا من الجهاز القديم و من ثو لابد من إستيراده أو إستخدامه.

2- الثقافة و الهوية :

إن مسألة الهوية توحى وللوهلة الأولى، إلى المسألة الأوسع وهي مسألة الهوية الاجتماعية التي تعد الهوية إحدى مكوناتها، إذا لا يمكننا التطرق إلى مفهوم الهوية إلا إذا حددنا بعدها الاجتماعي.

يقول ابن رشد في كتابه ما بعد الطبيعة "أن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على إسم الموجود و هي مشتقة من الهو كنا نشق الإنسانية من الإنسان "، ام مفهوم الهوية عند ارسطو "هي تماثل الشيء مع ذاته"¹.

اما الهوية لغة هي مأخوذة من "هو هو" بمعنى أنها جوهر الشيء و حقيقته، فهوية الإنسان او الثقافة او الحضارة هي جوهرها و حقيقتها. ولما كان في كل شيء من الأشياء _إنسانا او ثقافة او حضارة _ الثابت و المتغيرات. فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى و تقصح عن ذاتها، و إن هوية أي مجتمع او أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية، و الهوية دائما تجمع ثلاث عناصر : العقيدة التي توفر رؤية الوجود ، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى.

أن الهوية الثقافية كيان يصير ويتطور، وليس معطى جاهز ونهائي، فهي تصير وتتطور أما في اتجاه الانكماش ، أو في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلب وإيجاب مع الهويات الثقافية الأخرى، التي

(1)-عبدالرحمن خليفة، مرجع سابق ذكره، ص110.

تدخل معها في تغاير من نوع ما . وعلى العموم تتحرك الهوية الثقافية في ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد، وكما يأتي:

أ- الفرد داخل الجماعة الواحدة، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة عبارة عن أنا لها آخر داخل الجماعة نفسها، أنا تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر القبيلة، المذهب والطائفة أو الديانة، التنظيم السياسي أو الجماعي

ب- الجماعات داخل الأمة، هم كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، لكل منها أنا خاصة بها و آخر من خلال وعبرة على نفسها بوصفها ليست إياه.

ت - الشيء نفسه يقال بالنسبة إلى الأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى غير أنها أكثر تجريداً، وأوسع نطاقاً، وأكثر قابلية على التعدد والتنوع والاختلاف.

أما العلاقة بين الهوية والثقافة، فإنها تعني علاقة الذات بالإننتاج الثقافي، ولا شك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب ذات مفكرة، دون الخوض في الجدال الذي يذهب إلى أسبقية الذات على موضوع الاتجاه العقلاني المثالي، أو الذي يجعل الموضوع أسبق من الذات، وإن كل ما في الذهن هو نتيجة ما تحمله الحواس وتخطه على تلك الصفحة (ذهن الإنسان) كما يذهب لوك، والاتجاه التجريبي بشكل عام.

الخلاصة أن الذات المفكرة تقوم بدور كبير في إنتاج الثقافة، وتحديد نوعها وأهدافها وهويتها في كل مجتمع إنساني وفي كل عصر من العصور، وبناء على ما سبق فإنه يصعب أن نجد تعريفاً جامعاً مانعاً لمفهوم الهوية الثقافية، فالهوية الثقافية تختلف من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى عصر، كما تختلف باختلاف التوجهات الفكرية والأيدولوجية لمنتجي الثقافة¹.

1- gallissot réné, sous l'identité, l'homme et la société, n°83, 1987 ,la mode d'identité, p12

3-الثقافة و الإيديولوجيا:

عرف مفهوم الإيديولوجيا تعاريف شتى ولم تستقر على تعريف واحد يضمن لها معنى محدد نظرا لتطور معانيها عبر حقب الزمن ،مما جعل كل حقبة بفلاسفتها تذهب مذهبا مختلفا في التعريف عن سابقتها ، و يعود إستخدام الإيديولوجيا في بادئ الأمر إلى المفكر الفرنسي "دستيت دى تراسي" destitut de tracy عام 1595 الذي أراد أن يبدأ به علما جديدا سماه "علم الأفكار science of ideas" في محاولة للتفرقة بين هذا المضمون الجديد و ما نعرفه بإسم الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة ، ولعل الداعي الرئيسي إلى ذلك الإتجاه الجديد هو معاشته لفترة الغليان التي واكبت الثورة الفرنسية¹.

الإيديولوجية فى رأى البعض تتكون من مقطعين يونانيين هما:logy.idea اي علم الأفكارأو علم المثاليات إذا اعتبرنا المقطع الأول هو ideal و عموما فإن اللفظ المركب يشير إلى نموذج مثالي في عملية بناء الفكر يسهم في تفسير الطبيعة و المجتمع الفرد بصفة عامة، بينما يرى الآخر أن الأيديولوجيا لاتينية الأصل و يقصد بها علم الصور أو الخيال في التصور الأفلاطوني لأصحاب الكهف ووعيمهم الزائف بحقيقة وجودهم.

اما العلاقة بين الأيديولوجية و الثقافة:عما إذا كان هناك صلة بين الثقافة و الإيديولوجيا ، و لعله ببعض النظرة التحليلية نستطيع أن نحكم بوجود كثير من التطابق بين مكونات كل منهما بل أن الواحدة قد تكون سببا من أسباب الأخرى و مكونا من مكوناتها، حيث أن تصورات الأفراد فيهما تتشكل و تتعمق إلى أن تصبح وسيلة تحقق للإنسان حاجاته و من ثم تكون الثقافة و الإيديولوجيا مجرد جزء من اللغة العامة التي على أساسها يكون السلوك المشترك لإفراد الشعب.

(1)-عبد الرحمان خليفة،مرجع سابق،ص ص 120-121.

الثقافة تخلق القيم بمعنى الأنواع المعينة من السلوك بغض النظر عن الذي تكون عليه من الأخلاقية ، و ذلك ما تذهب إليه الإيديولوجيا لاسيما تلك التي لا تحلق بعيدا عن عالم الواقع. وإذا كان تايلور قد ذهب إلى أن الثقافة هي جملة الخصائص التي يتصف بها الإنسان نتيجة لإنتمائه إلى مجتمع معين ، فإن الإيديولوجية هي التي تفعل ذلك تماما حيث هي التي تحدد له أنساقا من التفكير لا يتعدها وكذلك أنماطا من السلوك لا بد من الإلتزام بها ، و ذا كانت الثقافة تلزم الإنسان بطريقة معينة في جميع أنشطة حياته اليومية ، فإنه بذلك يتصرف وفق إيديولوجيته الفردية أو الجماعية بطريقة لاشعورية¹.

(1)- عبد الرحمان خليفة، مرجع سابق، ص 122

المبحث الثاني : العلاقات الأورومغاربية

المطلب الأول: السياق التاريخي للعلاقات الأورومغاربية

لا تعتبر العلاقات الأورو مغاربية و ليدة عصور حديثة، فقد تأسست منذ فجر التاريخ، و مرت في مسار تطورها عبر مراحل متعددة حيث إنقلبت فيه موازين القوى بين الطرفين، غير أن هذه العلاقة عرفت زخما جديدا بعد نهاية الحرب الباردة و زوال الإستقطاب شرق غرب، و تغير التحالفات التي ميزت تلك الفترة¹.

فمع نهاية التهديد السوفيياتي لغرب أوروبا و تأسيس الإتحاد الأوروبي عام 1992، و التغيرات العميقة التي مست اسس العلاقات الأوروبية الأمريكية، وجه الأوروبيون إهتمامهم من جديد نحو الضفة الجنوبية للمتوسط و بالأخص منطقة المغرب العربي، و التي تعتبرها أوروبا مركز نفوذ تاريخي و ثقافي لها.

و على الأساس فقط بدأ التنافس الأوروبي الأمريكي من أجل السيطرة على منطقة المغرب العربي، و التي تقع بين التصور الأوروبي متعدد الأبعاد (تاريخية، إقتصادية، ثقافية)، و التصور الأمريكي كمنطقة واعدة إقتصاديا.

و على هذا الأساس فإن نطقة المغرب العربي تعد بالكثير كمتغير أساسي في إستراتيجية الأمن الأوروبي، و قد يفسر هذا بشكل كبير التنافس مع الولايات المتحدة حول السيطرة على هذه المنطقة، لهذا فقد أعطى مسار برشلونة منذ 1995 صفة الشريك لدول المغرب العربي في إطار الشراكة الأورو متوسطة التي جسدها إتفاقيات الشراكة المبرمة بين الإتحاد الأوروبي و دول المنطقة المغاربية و كانت آخرها إتفاق الشراكة مع الجزائر عام 2002. إن دراسة التطور التاريخي للعلاقات الأورومغاربية بيت إتحاد و دول سوف يكون عبر منهجية يفسر بطريقتين تاريخيتين، هما أن الغلاقات هي واحدة و لم تتغير، و أن هناك مراحل و فترات زمنية مختلفة من حيث المنطلقات و النتائج

(1)- فيصل سمارة ، البعد الإنساني في الشراكة الأورومغاربية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ، (جامعة مولود معمري: تيزي وزو، 2013)، ص40.

و تعود الجذور التاريخية للعلاقات الأوروبية مغربية إلى فترة زمنية قديمة، نتيجة للتقارب الجغرافي، و ضرورة التبادل التجاري و حتمية الإحتكاك بين دول القارتين حسب طبيعة كل مرحلة ، وكذا أهمية و تنوع حجم المبادلات بينهما في كافة المجالات. وتدعمت هذه العلاقات بعد لجوء الدول الأوروبية في بداية القرن التاسع عشر إلى الحملات الإستعمارية أين إحتلت من خلالها كل الدول المغربية، وإستعملتها كمنافذ لتصريف الفائض من منتوجاتها الصناعية التي عجزت الأسواق الأوروبية على إستيعابها و بالتالي تقادي مشكل التضخم و الكساد.

إن الإهتمام الأوروبي بالمنطقة المغربية لم ينتهي فور حصول هذه الدول على إستقلالها و لكن ظل قائما ولكن بأساليب جديدة تمكنها من الحصول على إمتيازات كانت تتمتع بها سابقا وفق إستراتيجيات رسمت معالمها بكا دقة و وضوح لما تملكه هذه المنطقة منذ آلافاً السنين بإعتبارها القلب النابض بالنسبة لباقي مناطق العالم وهذا نظرا لتوسطها ثلاث قارات (أوروبا-وشمال إفريقيا-و غرب آسيا)، و تعتبر أيضا مهدا لأعرق الحضارات ومعبرا يصل المحيط الهندي بالأطلسي، كما تشمل أيضا خطا بحريا للنفط القادم من الخليج إلى أوروبا و أمريكا الشمالية¹.

(1)- زكري مريم، البعد الإقتصادي في العلاقات الأوروبية مغربية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية ، (جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، 2011)، ص2.

المطلب الثاني: عوامل قيام العلاقات الأورومغربية

تقوم العلاقات الأورومغربية على عدة عوامل منها:

- أ- **العامل الجغرافي:** يعتبر الموقع الجغرافي (الجوار) و سهولة الإتصال لقرب المسافة بين الدول من بين العوامل الحساسة في العلاقات الأورومغربية حيث إن كل طرف يحتاج إلى الآخر، إذ هناك إقليمين تجمعهما ضفتا البحر الأبيض المتوسط (حوالي 10 كلم بين المغرب و إسبانيا).
- ب- **العامل الثقافي:** جاء التأثير الذي تمارسه الدول الأوروبية على الأقطار المغربية منذ مرحلة الإستعمار، حيث أن غالبية أقطار المغرب العربي عبارة عن مستعمرات أوروبية وتملك ثقافة أوروبية ثانية، فجل النخبة المغربية الحاكمة التي تهيكل مجتمعاتها مثقفة ثقافة أوروبية (خاصة فرنسا)، كما يمكن القول أن عدة جوانب إجتماعية ثقافية تساعد في تدعيم العلاقات الأورو- مغربية و تتمثل بتأثير الجانبين الإجتماعي و الثقافي في دول الإتحاد الأوروبي في العمالة المهاجرة إليها من أقطاب المغرب العربي، حيث تمثل هذه أحد عوامل التقارب بين دول المنشأ و تؤثر في نمو الدول الأوروبية، و تمثل البيئة الإجتماعية السائدة في أقطار المغرب العربي، و كذلك أحد عوامل الجذب السياحي لمواطني دول الأتحاد الأوروبي و هذا نتيجة العوامل الثقافية و الإجتماعية المشتركة¹.
- ج- **عامل الهجرة:** تعتبر غالبية المهاجرين العرب في أوربا مغربية، و الأرقام تؤكد ذلك، حيث ان نسبة الهجرة الشرعية و اللاشرعية مرتفعة و ذلك منذ فترة تاريخية بعيدة، كما أت التمازج بين الثقافات يساعد على الاندماج (هناك حوالي 8 ملايين مغربي مهاجر في أوروبا)
- د- **العامل الإقتصادي:** تعد أوروبا المتعامل رقم واحد في منطقة المغرب العربي، خاصة في مجال الطاقة وقد تحقق نتيجة التعاون بينها و بين أقطار المغرب العربي و هذا من أجل:
 - إستفادة الدول الأوروبية من المواد الأولية في أقطار المغرب العربي.
 - فتح أسواق جديدة للمنتجات الأوروبية.
 - إستخدام يد عاملة رخيصة في أوروبا.
 - تقديم مساعدات مالية و تقنية أوروبية إلى الأقطار المغربية الثلاثة.

(1)- عبد اللطيف بوروبي، العلاقات الأوروبية المغربية بعد عام 2001، (الجزائر: كلية العلوم السياسية، 2008)، ص7.

- فتح إستثمارات جديدة داخل الأقطار المغربية.

كما أن أهمية العامل التقني في تحقيق التنمية في الأقطار المغربية لا يمكن أن يتحقق مندون نقل التكنولوجيا من دول الإتحاد الأوروبي، حيث تعد الطاقة عاملا مهما للدول الأوروبية بإعتبارها دولا غير منتجة للبترول و الغاز، و إن أقرب وأكبر مصادر البترول و الغاز إلى أوروبا الغربية هي منطقة البحر المتوسط و خاصة أقطار المغرب العربي، الأمر الذي يجعل الدول الأوروبية تهتم بهذه المنطقة لضمان إستمرار تدفق مصادر الطاقة إليها¹.

هـ-**العامل السياسي و الأمني:** إنتهج الأتحاد الأوروبي سياسة متوسطة نشطة تتمثل في الاضي بمواجهة خطر إنتشار الشيوعية في المنطقة و العمل على إستقرار الأمن فيها (السوق الأوروبية المشتركة)، أما حاليا فقد إستمرت هذه السياسة المتوسطة لكنها آخذة الآن في الإعتبار المستجدات التي طرأت على المنطقة وبالتركيز على هذه المنطقة لخلق مصالح متبادلة، و بالتالي الإبقاء على أهمية الفاعل الدولي في العلاقات الأورو مغربية.

و في الأخير يمكن القول أن جل هذه العوامل المحفزة على تحقيق علاقات بينية ناجحة بين أوروبا كإتحاد و الأقطار الثلاثة المغربية، لم ترتق إلى الأهداف المرجوة و المتمثلة بالشراكة رغم أنها مشروطة بلا عضوية و من ثم إمكانية التكامل و الإندماج، و نستنتج أن المناقض لهذه المزايا هو الطرح السلبي في طبيعة هذه العلاقات و المتمثل في المشاكل الناجمة عن العلاقات الأورو مغربية (بالتركيز على الجزائر، تونس، المغرب).

(1)-عبد اللطيف بوروي، مرجع سابق ذكره،ص6.

المطلب الثالث: أهمية المحدد الثقافي في تحديد العلاقات الأورومغاربية

البعد الثقافي في العلاقات الأورومغاربية هو بعد أهم و أشمل من البعدين الإقتصادي و السياسي، فهو إطار علاقة تهتم بالإنسان العادي كما أن هذا الجانب يتسم بالحركية و الإحتكاك المستمر و الذي لا مفر منه، كما يهتم هذا الجانب بتنمية الروابط بين الشعوب و هذا ما سيؤدي إلى توطيد العلاقات إلى مستويات أخرى (مستوى الحكومات) كما أن هذا المحدد له أهمية كبرى على مد العصور، فمنذ القدم كان الإحتكاك قائما بين شعوب الضفتين و كان التأثير العمودي بإستمرار بين الطرفين سواء شمال جنوب أو جنوب شمال¹.

فالحضارة كما هو معلوم اخذ و عطاء حيث عبر عن ذلك "ريمون أفرو" الذي هو عضو في البرلمان الأوروبي و كان من رفقاء الجنرال و يقول: "إن رئيسي كان يحدثني دائما أن الحضارة الإنسانية التي نحاول أن نخلقها تتطلب تعاون العالم العربي و العالم الأوروبي، و أن أوروبا و العالم العربي مرشحان لإحتلال مكانة القوة الثالثة في العالم و حفظ التوازن الدولي" إذن العلاقات الأورومغاربية قائمة ومنذ العصور القديمة بين الدول المطلة على البحر المتوسط سواء كانت هذه العلاقة قائمة على الصرلح أم التعاون.

أما في العصر الحديث و الذي يهمننا فيمكن القول بأن العلاقة بين دول المتوسط عموما إستمرت، فمثلا فرنسا حاولت ومنذ عام 1958 إشراك تونس و المغرب في السياسة المتوسطية للمجموعة الأوروبية و إلتحقت بها الجزائر سنة 1962 أي بعد الإستقلال، و للتذكير فقط فالجزائر كانت عند التوقيع على معاهدة روما عام 1958 جز من الأراضي الفرنسية و تابعة لها.

و كانت هذه البداية نحو علاقات قائمة على نوع جديد بين البلدان المتوسطية، فالبلدان الأوروبية لم تعد دولا ذات صفة إستعمارية للدول الجنوبية بعد نيل هذه الأخيرة إستقلالها، و كما إنتهجت الدول الأوروبية عدة سياسات إتجاه دول الضفة الجنوبية من المتوسط منذ الستينات من القرن الماضي حيث بدأت الإتفاقات مقتصرة على المجال التجاري ثم حققت قفزة نوعية نحو مجالات

(1)- فيصل سمارة ، مرجع سابق ذكره، ص36.

أخرى سياسية و ثقافية و عرفت بإتفاقيات التعاون و مؤخرا عرفت إتفاقيات الشراكة مع الإتحاد الأوروبي

و لقد مرت السياسات الأوروبية بعدة مراحل تميزت كل واحدة منها بمجالات معينة و كانت هذه المجالات خاضعة للظروف و المستجدات الدولية و المحلية في المنطقة المتوسطية عموما ومنطقة المغرب العربي خاصة، و يمكن حصر تلك السياسات في 3 مراحل:

- المرحلة الأولى(1969-1973): السياسة المتوسطية للمجموعة الإقتصادية الأوروبية
- المرحلة الثانية(1976-1987): السياسة المتوسطية الشاملة
- المرحلة الثالثة(1988-1995): السياسة المتوسطية المتجددة.

غير أن الملاحظ للعلاقات الأورومغاربية القائمة بين الضفتين لم تنفي البعد الثقافي في الحوار الأوروبي المغربي، لكنها بالمقابل لم تولي أهمية حقيقية خاصة في ظل أهمية هذا المحور والذي لابد أن يكون له أولوية في أي علاقة و هذا من شأنها تحسين وجهات النظر بين الطرفين.¹

(1)- لعجال محمد أمين، إستراتيجية الإتحاد الأوروبي تجاه دول المغرب العربي، أطروحة الدكتوراه غير منشورة،(الجزائر:كلية العلوم السياسية،2006)،ص143.

المبحث الثالث: مكونات الثقافة المغربية و تأثيرها على العلاقات الأورومغربية

المطلب الأول: المبادئ الأساسية للثقافة المغربية

تتشكل أبعاد الثقافة المغربية فيما يلي:

وحدة جغرافية يحتلها البعد الأفرو متوسطي للهوية المغربية.

عرف المغرب وحدة لغوية في عهوده الغابرة المتمثلة في الأمازيغية و مازالت لهجاتها حية على ألسنة جماعات لغوية متأثرة على إمتداد أقطاب المغرب و هي تمثل البعد الأمازيغي للهوية المغربية.¹

و بالرغم من كثرة الغزاة و الفاتحين و تداول الحضارات على منطقة المغرب وحدها الفتوحات الإسلامية تمكنت من الرسوخ في المنطقة خاصة مع زحف القبائل و إمتزاج العنصر العربي و العنصر الأمازيغي، و قيام ممالك إسلامية عظيمة في بلاد المغرب.

لقد تعرضت الهوية المغربية إلى التمزق بفعل الإستعمار و خاصة في الجزائر التي عانت أكثر من غيرها و فقدت جزءا من كيائها، و اللذين يريدون لها ذلك يقترحون لها هوية جاهزة في الإسلام، بينما لم تتميز الثقافة المغربية أبدا بالطابع غير الديني و أيضا بدرجة أقل بطابع الإسلام، فباسم الوحدة الإسلامية حاربت هذه الشعوب و هزمتها، ولكن على العموم فإن الثقافة المغربية لها جوانب وثنية في بعض المظاهر مثل: الزوايا و الأولياء الصالحين.....

لا نستطيع الآن الحديث عن ثقافة مغربية دون إستحضار مساهمة شباب المهجر، فعلى مستوى الموسيقى أو الأغنية أو السمعي البصري أو الأدب، لا نستطيع تجاهل جيل لا يعبر بالجمع بين الثقافتين و هي عبارة ثقافة جديدة في طريقها غلى التشكل لم يعترف بها سكان المغرب العربي و هي ثقافة القطيعة و الإبداع و ليس لها إلا قليل من الروابط مع جذور الأبناء، و هي عبارة عن ثقافات تستند إلى القيم مثل: الكرامة و التقدم و حقوق الإنسان...

(1)- سامية إدريس، المخيال المغربي، (بجاية: دار النشر و المعرفة، 2009)، ص ص 34-35.

المطلب الثاني: الثقافة الإسلامية في المغرب العربي و الحضارة العربية الإسلامية (العنصر الديني في الثقافة المغاربية)

إن كل من المغرب و الجزائر و تونس ،عبارة عن بلدان المغرب العربي عرفت بروز الحركات الإسلامية إلا أن هذا البروز عرف اختلافات متباينة اعتبارا للعوامل التاريخية المرتبطة بكل بلد، كما أن الإطار السياسي و صيرورة تكوين الدولة و درجة تطور المجتمع المدني بهذه الدول كلها عوامل طبعت بشكل أو بآخر بروز الحركات الإسلامية بها.

بالنسبة للجزائر منذ قرون عاشت البلاد تحت الحكم العثماني الذي تلاه الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962، خلافا لما حصل بالمغرب و بتونس، فان الاستعمار عمد إلى تغييرات جذرية للبنيات الاجتماعية و الثقافية و السياسية بالجزائر التي كان يعتبرها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي، علاوة على أن حرب الفرنسيين بالجزائر كانت أكثر ضراوة ضد المقاومة الوطنية لاسيما فيما بين 1954 و 1962 و زاد من هذه الضراوة كون فرنسا عمدت إلى خلخلة البنيات الاجتماعية بالبلاد.¹

أما بالنسبة للمغرب و تونس، فان الاستعمار الفرنسي كان مضطرا للحفاظ على البنيات التقليدية و الاعتماد على بنية إدارية ممرضة مع استناده على الأعيان لمحاولة مراقبة البلاد. و بما أن صيرورة الاغتراب الثقافي و اللغوي لاسيما بالنسبة للنخب كان أكثر عمقا و فعلا بالجزائر، فقد كان من الطبيعي جدا أن يكون هناك لجوء إلى جعل الإسلام أداة لتفعيل و إعمال حركة المقاومة الفكرية ضد المستعمر و الاستعمار، و من الناحية التاريخية يمكن القول أن الوضعية بالجزائر دفعت فرنسا دفعا للتفاوض مع المغرب و تونس فيما يخص استقلالها في حين أن الشعب الجزائري كان مضطرا للاستمرار في الكفاح و المقاومة و هذا ما تطلب منه المزيد من التضحيات (مليون شهيد) لانتزاع استقلاله بدعم و مساندة كافة شعوب المنطقة المستقلة آنذاك.

(1)- سامية إدريس، مرجع سابق ذكره، ص36.

و بهذا فان الجزائر و ذاكرتها الجماعية تميزت بنوع من القطيعة تكاد تكون تامة مع الماضي القريب، إذ أن الوعي الوطني ارتكز بالأساس على مرحلة الثورة الجزائرية و جسدت الجبهة الوطنية للتحرير الدولة بالجزائر بامتياز و التي لم تسمح لأية قوة غيرها للبروز على الساحة، و بذلك كان من الطبيعي أن يكون للجيش الدور المركزي، و من بين القوى التي كان من الضروري مراقبتها و عن قرب تلك القوى المرتبطة بالمؤسسات الدينية لاسيما في ظل سيادة الحزب الواحد (الجبهة) إلى حدود نهاية ثمانينات القرن الماضي.

أما بالنسبة لتونس فرغم أنها كانت مستهدفة دائما من طرف الغزاة ظلت نسبيا محافظة على نوع من الاستقلالية و بعد المرحلة الحسينية كانت المرحلة العثمانية التي تلاها الاستعمار الفرنسي في بداية 1880، و قد حافظ الاستعمار على البنيات التقليدية إذ لم يلغها إلى أن حققت البلاد استقلالها، و في سنة 1957 أعلن "الحبيب بورقيبة" رئيس الحزب الدستوري على إنشاء الجمهورية التونسية واضعا حدا لحكم العائلة الحسينية.¹

و بالنسبة للمغرب، فقد حافظ على صيرورة تاريخية متتالية بدون انقطاع و هو البلد الوحيد بالمنطقة الذي لم يخضع يوما للحكم العثماني و لم يدخل إليه الاستعمار الفرنسي إلا سنة 1912، و على امتداد مرحلة الحماية حافظت البلاد على بنياتها الاجتماعية و الثقافية و السياسية رغم أن الاستعمار عمد إلى إحداث بنية إدارية ممرضة بمساعدة الأعيان، و ظل حضور القصر بجانب حزب الاستقلال قويا على امتداد مرحلة الكفاح من أجل الاستقلال، و بعد الاستقلال تقوت الدولة المركزية بالمغرب عبر إحداث الدساتير التي أقرت بالملكية الدستورية يحكم فيها الملك و يسود، و بعد حين برزت معارضة علنية بجانب تنظيمات سرية يسارية و إسلامية.

بالجزائر في عهد أحمد بن بلة (1962-1965) كان تأثير الإسلام قويا لكن في نطاق الحياة الخاصة رغم أنه يعتبر الدين الرسمي للشعب و باسمه قامت الثورة، و قد أكد دستور 1963 على أن الإسلام دين الدولة، إلا أنه خلال هذه الفترة كان أهم موضوع على الركب

(1)- سامية إدريس، مرجع سابق ذكره، ص38

السياسي هو ذاك المرتبط بالعلمانية، لاسيما علمانية المجتمع، و هذا ما كرسه ميثاق الجزائر العاصمة سنة 1964.

و في عهد الهواري بومدين (1965-1978) كان دعم المحافظين للانقلاب واضحا، إلا أن هذا لم يؤد إلى الاستجابة إلى مطالبهم الثقافية و الاجتماعية الرامية إلى توجيه الثروة في إطار ينسجم مع الإسلام لاسيما في قطاعي التعليم و الثقافة، آنذاك كان النظام يبحث عن سند سياسي لدعم سياسة الإصلاح الزراعي و هكذا حصل تقاربا بين السلطة و اليسار الماركسي ابتداء من سنة 1972 إلا أنه بعد أن عمدت السلطة إلى إضعاف هذا الحليف اليساري و ذلك بدعم التيارات المحافظة و هذا ما توضح بجلاء مع تعيين أحمد طالب الإبراهيمي وزيرا للتربية الوطنية ثم وزيرا للثقافة و الإعلام، و مولود القاسم وزيرا للتعليم الأصيل و الشؤون الدينية، و تلى ذلك إصلاح التعليم سنة 1977 و الذي أولى اهتماما خاصا بالدين كما تم اعتماد قانون للأحوال الشخصية ينسجم مع الشريعة الإسلامية و أقر دستور 1976 بعدم جواز أي تعديل دستوري يناقض مبادئ الإسلام الذي هو دين الدولة الجزائرية، و فيما بين 1981 و 1986 تم اعتماد سياسة تشجيع التعليم الديني و ارتقائه إلا أنه مع حلول سنة 1986 شعر النظام بخطر "الإسلام السياسي"¹

أما تونس، فقد انتهجت منحى أكثر علمانية منذ البداية رغم أن دستور 1959 أقر بأن الإسلام دين البلاد إذ أن هذا الإقرار ظل شكليا على أكثر من مستوى من نواحي الحياة العامة. لقد عمل الحبيب بورقيبة (1962_1987) على توجيه المجتمع نحو منحى علماني مفروض من فوق و في هذا الصدد اعتبر المحللون أن الرئيس كان أكثر جرأة من المستعمر، و هكذا تم اعتماد منظومة قضائية عصرية بما في ذلك مدونة الأحوال الشخصية بعد إلغاء المحاكم الشرعية و إلغاء كذلك إلزامية الشعائر الدينية و كان من السهل القيام بهذه التغييرات بالنسبة للحبيب بورقيبة بعد تعيينه رئيسا للجمهورية مدى الحياة و فيما يخص المغرب، فقد سعت دائما الدولة إلى تبعية المؤسسات الدينية لها و ذلك عبر إدماج العلماء و

(1)-سامية إدريس، مرجع سابق ذكره، ص39.

الفقهاء و الاعتماد عليهم لمساندة شرعية السلطة و تدعيمها، كما أن الدولة المغربية عملت على تشجيع "الإسلام الشعبي" بمختلف الأساليب (المواسيم، العادات...) باعتبار، خلافا لما جرى في الجزائر و تونس.

أن الإسلام ظل يعتبر من الدعائم الأساسية للسلطة بالبلاد، و التي تستمد شرعيتها من الدين الإسلامي، كما أن سياسة التحديث المعتمدة بالمغرب لم تقص يوما الثقافة الشعبية و البنية التقليدية و لم تتصدى لهما بل على العكس من ذلك أولتهما عناية خاصة. و ابتداء من سنة 1984 عملت الدولة على إعادة تنظيم المجال الديني و ذلك بحثا عن المزيد من المراقبة لتدبير شؤون المساجد و مختلف فضاءات العبادات و الشعائر الدينية و الاهتمام بخطبة الجمعة، و في هذا الصدد تم استبعاد الأئمة الموصوفين بنزعة معارضة أو متطرفة و كما تم تعميم إقفال المساجد بعد كل صلاة و إعادة تنظيم مجالس العلماء و المراقبة الدقيقة للوعاظ و القيمين على الشؤون الدينية.¹

ليس خافيا على أحد أن الحضارة العربية الإسلامية بلغت شأوا في فارقة تاريخية فريدة، لم تبلغه السوابق من الحضارات المتقدمة عليها، مما أهلها أن تكون صاحبة شوكة في صناعة القرار الحضاري قياسا بزمانها.

و يقصد بالحضارة العربية الإسلامية أنها هي نتاج الأمة العربية الإسلامية عبر تاريخها الطويل في المجالات منها السياسية، الإقتصادية و الإجتماعية و الفكرية و الأخلاقية.....و بما يخدم تطور الإنسانية و رقيها، و سميت بالحضارة العربية الإسلامية لكون لغتها عربية من جهة، و لأن الإسلام و قيمه أساس تراثها الفكري و وجه سائر مظاهرها في مسارات منسجمة مع أحكامه.

وقد اختلف الباحثون العرب في تسمية الحضارة العربية الإسلامية حيث هناك من يسميها الحضارة العربية الإسلامية وحجتهم على ذلك، أن اللغة العربية هي اللغة الأساسية لهذه الحضارة ، و أن هناك شعوب أخرى مثل الترك و الهنود....الخ، وقد خرج من بينهم علماء ساهموا في بناء هذه الحضارة.

(1)- سامية إدريس، مرجع سابق ذكره، ص40.

و لقد أجمع الباحثون على أن هناك ثلاث معابر رئيسية إنتقلت من خلالها الحضارة العربية في العصور الوسطى إلى الغرب الأوروبي، أو بالأحرى ثلاث مناطق تمت فيها عملية التلاقي بين حضارة العرب الزاهرة و بين الحضارة الأوروبية التي كانت تمر في مرحلة من أكثر مراحل تاريخها إنحطاطا، و هي التي يطلق عليها الأوروبيون مرحلة العصور المظلمة، و التي بدأت إنهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب في القرن 5 ميلادي و إستمرت حتى القرن 13 عشر تقريبا، و هذه المعابر هي: الأندلس، صقلية، الحروب الصليبية.

و لقد أسهمت الحضارة العربية سواء في العصور القديمة أو العصور الوسطى إسهاما مباشرا في تقديم البشرية حيث أن ليس هناك شعب قام بالدور الذي إضطلع به العرب في تاريخ الحضارة الإنسانية، فمنابع الغرب القديمة (الإغريقية و الرومانية) ولدت في بلاد الشام و مصر و الرافدين...¹

المطلب الثالث: المعطى الثقافي الهوياتي الأمازيغي

إن الإنسان الجزائري خاصة و المغاربي عامة هو أمازيغي الجذور، و قد كانت هويته الثقافية قبل الإسلام هي هوية أمازيغية، لكنه كان متفتحا على العالم و يتأثر و يؤثر مثلا تأثر بالتجار اللذين الفينيقيين كانوا يجوبون البحر المتوسط لتسويق سلعهم، و منها سواحل البلادالمغاربية و هذا نتيجة لتفاعله مع هؤلاء التجار أصبح الإنسان المغاربي يتحدث لغة ثانية إلى جانب الأمازيغية و هي اللغة البونيقية، و كانت هذه الأخيرة مزيجا بين الأمازيغية و الفينيقية و كانت تنتشر خاصة في السواحل على عكس الجبال و البوادي، و قد نشأت البونيقية في البلاد المغاربية بسبب التبادل التجاري على السواحل بين تجار الأزيغ و الفينيقيين حيث إخترعوا لغة مزيجة من لغتهما و هذا لتسهيل التعاملات بينهما، خاصة و أن التعامل كان يتم بالمقايضة بين سلع التجار الفينيقيين ومنتجات الأمازيغ، و رأى بعض الباحثين بأن نفس المناطق التي تأثرت بالفينيقية و تتحدث بالبونيقية هي التي تعربت بسهولة بعد إعتناق الأمازيغ الإسلام. وكما تأثر الأمازيغ بالرومانو لكن بشكل ضئيل ويعود ذلك إلى محاولات الرومان رونة الأمازيغ بكا الوسائل، و هو ا يتناقض مع نفسيتهم الراضة لكل ما يأتيهم بالقوة،

(1)- محمد آكلي حدادو، الدفاع عن اللغة البربرية، (الجزائر: النشر و التوزيع، 2002)، ص15.

نجدهم يحتفظون باللغتين الأمازيغية و البونيقية لمدة طويلة رغم محاولات الرومان و لكن هذا ليس يعني أنه عدم وجود البعض منهم ترمنو خاصة في المدن و السواحل، بل برز الكثير من المثقفين و الأدباء و الفلاسفة كتبوا باللغة اللاتينية مثل " سانت أوغستن" و أبوليوس و فرنطون وغيرهم... لكن هناك احتمال كبير إن يكون المعبرون بالأمازيغية و البونيقية قد تم طمس تاريخهم و أحرقت كتبهم خاصة من الإستعمار الروماني.

كما إعتقد البعض من الأمازيغ الديانة المسيحية قبل أن يعتنقها الرومان، ولعل يعود ذلك إلى إحتكاك البعض من الجنود الموجودين في الجيش الروماني بالمسيحيين الأوائل في فلسطين، لكن عندما تبني الرومان المسيحية على يد قسطنطين سارع الأمازيغ إلى إبداع المذهب المسيحي الدوناتى كتعبير منه على رفض كل ما يأتي من الإستعمار الروماني، وهو ما يعبر عن وجود أمة بمقومات خاصة بها و الدليل هي المقاومات المتواصلة طيلة وجود دخيل على هذه الأرض. كما إعتقد البعض من الأمازيغ الديانة المسيحية قبل أن يعتنقها الرومان، ولعل يعود ذلك إلى إحتكاك البعض من الجنود الموجودين في الجيش الروماني بالمسيحيين الأوائل في فلسطين، لكن عندما تبني الرومان المسيحية على يد قسطنطين سارع الأمازيغ إلى إبداع المذهب المسيحي الدوناتى كتعبير منه على رفض كل ما يأتي من الإستعمار الروماني، وهو ما يعبر عن وجود أمة بمقومات خاصة بها و الدليل هي المقاومات المتواصلة طيلة وجود دخيل على هذه الأرض.¹ و قد عبر الأمازيغ عن هويتهم الثقافية بالدفاع عن وطنهم ضد الدخيل الأجنبي، كما عبروا عنها بالفنون و الآداب، و قد كان الرسم أحد الفنون التي مهر فيها الأمازيغ و قد كانت حضارة الطاسيلي أحسن من عبر عن ذلك منذ 6 آلاف سنة قبل الميلاد، و قد كانت الحضارة الأمازيغية هي التي أثرت في الحضارة الفرعونية المصرية، و قد كتب عن ذلك "أرنولد توينبي" عند دراسته الحضارات كي يتوصل إلى نظريته الإستجابة و التحدي و لازالت هذه الحضارة مستمرة إلى يومنا هذا دون الحديث عن العمارة مثل القصور في جنوبنل الكبير و مختلف الجداريات المكتوبة بالأمازيغية نذكر منها جدارية"هيظ آوراغت" (عين الصفراء)، و التي تتعرض للطمس و التشويه في السنوات الأخيرة بفعل فاعل و غيرها م

(1)- عبد العلي الودغري، اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي، (الرباط : مركز الدراسات، 2001)، ص5.

المناطق، و لكن رغم الطمس الذي لقيته الحضارة الأمازيغية على يد الإستعمار الروماني و قد بدأت تبرز اليوم بعض الحفريات العميقة رغم قلتها عن مدى قيمة هذه الحضارة الأمازيغية المغربية، و لا نعلم لما يفتخر البعض بأهرامات مصر، و لا نولي أهمية لـ"إمدغاسن" و القيام بدراسات حوله في الجزائر مثلا و غيرها من الآثار العديدة و منها هذه المدن الأمازيغية التي بنى الرومان عليها بهدف طمس حضارتنا الأمازيغية في إطار سياسة الورمنة التي إنتهجوها.¹ كما يعبر الأمازيغ عن هويتهم بمختلف العادات و التقاليد و الأكالات الخاصة بالجزائريين خاصة و المغربيين عامة، مثل "أبربوش" (الكسكس) الخاص بهم فقط، و يعتبر "أبربوش" خاصية أمازيغية بحتة، و من الطرائف المعروفة في التاريخ هو عندما كان الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" الذي رفض فكرة القومية العربية التي يدعو لها عبد الناصر و آمن بالوحدة المغربية حيث وقع صدام بينهما و السبب هو عندما طلب عبد الناصر من بورقيبة أين تقف هذه الحدود المغربية، فرد عليه بورقيبة أنها تبدأ أين يبدأ أكلة الكسكس و تقف أين تنتهي أكلها، فغضب عبد الناصر بعد ما نبهه أحد مستشاريه بأن بورقيبة بدعوته المغربية يريد أن يساخ جزء من مصر و هي حدودها الغربية المتمثلة في نواحي سيوة التي لا زالت محافظة على تقاليدها و لغتها الأمازيغية و إحتفالاتها بـ "ينار" (يناير) إلى حد اليوم، و لازالت هذه العادات و التقاليد سائدة في لدى الإنسان المغربي إلى حد اليوم رغم كل السنين الذي مرت ودرجات التثاقف و التأثير بالآخر مثل كل الأمم و شعوب الأرض، و قد تأثر الأمازيغ عامة أيضا بالعرب و هذا بعد إعتناهم الإسلام الذي هو دين الله سبحانه و تعالى و ليس دين مشرقيا عربيا كما يريد أن يوهمنا اليوم بعض القوميين العرب و اللذين يسعون لنشر هذه الفكرة لأهداف سلطوية لا علاقة لها بالإسلام أصلا و الذي يرفض طمس هويات الشعوب و يعترف بتعدد الألسن و الألوان و يعتبرها آية من آيات الله، و لو قلنا أن الإسلام آت من المشرق فمعناه هو عبارة عن منتج مشرقى و بالتالي هو تصريح ضمني وأنه منتج بشري، فهذه عبارة عن كفر

(1)- عبد العلي الوديعزي، مرجع سابق ذكره، ص ص 7-8.

و لهذا يجب أن نؤكد أن الإسلام جاء من رب السموات و الأرض، و يعد إعتناق الأمازيغ الإسلام نقطة تحول هامة في تطور الهوية الثقافية المغاربية.

إعتنق الأمازيغ الإسلام منذ ظهوره في سنواته الأولى، و قد ذهب البعض منهم إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليتعرفوا على هذا الدين الجديد أكثر، و قد سألهم من أنتم فقالوا له "من أمازيغ بن كنعان بن سام بن نوح"، و بدأ إنتشار الإسلام شيئا فشيئا فأنقسم الأمازيغ إلى مسلمين و غير مسلمين ، فهو صراع بين أمازيغ بسبب الإسلام الذي كان مدعوم بقوى دولية خارجية، فهناك إختلاف حول ظاهرة دخول الأمازيغ الإسلام، حيث نجد عدة أطروحات تقول بأن الأمازيغ كانوا على الفطرة، و وجودهم على الوثنية و عدم تجذر أديان سماوية فيهم، و أيضا إكتشافهم عدالة الإسلام و عدم مساسه بثقافتهم و هويتهم وأعرافهم.....¹، فبشأن هذا الطرح نشير إلى أن الأمازيغي من طبيعته رفض كل من يحاول فرض المعتقدات عليه بالقوة و هو ما يكذب للذين أرادوا أن يجعلوا من فكرة أن الإسلام إنتشر بالقوة لدى الأمازيغ، لأن طبيعة الأمازيغ ترفض اعتناق دين أو قيم بالقوة، و لهذا من المفروض رفض إستخدام عبارة " الفتح الإسلامي لبلاد المغرب" لأنه ليس صحيحا، و من المستحست إستخدام عبارة "إعتناق الأمازيغ للإسلام" لأنهم فعلا دخل أغليبيتهم في الإسلام قبل مجيء الأمويين، وهذا ما أخفاه المؤرخون الأمويون عمدا لكي يعطوا تبريرا لغزوهم للبلاد المغاربية حيث سعى الأمويون للسيطرة على هذه البلاد المغاربية لإهداف توسعية إمبراطورية بإستغلال الدين الإسلامي البريء من هذا العدوان الأموي الذي ووجه بمقاومات كبيرة.

و لهذا يجب على شعبنا أن يفخر بكل المقومات التي رفضت السيطرة الأجنبية تحت أي غطاء كان، و منها مقاومته ضد التوسع الأموي الذي لم يكن إلا توسعا إمبراطوريا لا علاقة له بالإسلام، و يجب أن نعلم أبنائنا ذلكة في المدارس كي لا يأتي أي كان غدا و يغزو أرضنا بإسم الدين كما تفعل "داعش" اليوم، و إن لم نعلمه هذا التاريخ فإنه سيأتي يوما من سيقبل بأي غزو أجنبي لبلادنا إذا رفع شعارا إسلاميا، أفلم يستخدم نابليون الإسلام لغزو مصر في 1798 فما يمنعنا عدم تكرار أعداءنا اليوم أو مستقبلا نفس الأساليب لكن بشكل أكثر تطورا، فما أدرانا

(1)-عبد العلي الوديغري، مرجع سابق ذكره، ص6.

اليوم إن لم يكن داعش اليوم هو غزو لبلادنا تحت شعار "إنشاء خلافة إسلامية" كما فعل الأمويون في وقت من الأوقات، فهل يعقل أن يأتينا الأمويون بالإسلام الصحيح و هم الذين قتلوا سيدنا "الحسين" حفيد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و مثلوا بجثته؟، فهل سيأتي هؤلاء الأمويين بالعدل لإجدادنا وهم لم يمارسوه حتى فيما بينهم؟، و قد نتج عن إعتناق الأمازيغ الإسلام و حبهم له سعيهم لنشره في بقاع الأرض ففتحوا الأندلس على يد طارق بن زياد الذي قاد جيشا أمازيغيا إلى هناك و كما كانوا وراء نشره في إفريقيا جنوب الصحراء، لكن رافق الإسلام عملية تعريب جزئية و قد عرفت المناطق الساحلية و المراكز الحضرية خاصة على عكس الجبال و البوادي التي لازالت إلى اليوم محافظة على الأمازيغية بمختلف لهجاتها. لا يشكل الأمازيغ وحدة ترابية متواصلة جغرافيا، إذ يتوزعون على عدة دول في المغرب العربيو منطقة الساحل الإفريقي و جنوب الصحراء الكبرى، و قد ظلوا نذ القدم في تواصل مستمر مع عدة ثقافات أخرى.¹

و يذهب بعض الباحثين إلى إعتبار الثقافة التارقية(الطوارق، أقصى جنوب الجزائر و ليبيا و شمال مالي و النيجر)مثالا على "ثقافة أمازيغية نموذجية" أفلتت من فلك الإنصهار مع الثقافة العربية، و قد دفع الشبه بين عادات البدو الأمازيغ و البدو العرب بالكثير من المؤرخين القدامى إلى الوقوع في الخطأ أن جزءا من الأمازيغ ذوو أصول عربية يمنية، كما أن مثال بني مزاب وسط الصحراء (الجزائرية) و جزيرة جربة(تونس) يطعن هو الآخر في صحة هذه النظرية، فالإحتكاك مع السكان الناطقين باللغة العربية لا يمنع من كون بني مزاب و سكان جربة محموجتين منغلقتين على نفسيهما من الناحية الثقافية، ة الحقيقة هي أن العامل الديني هو التفسير الوحيد لهذا الإنغلاق.²

كل هذه التحفظات على فكرة وجود ثقافة أمازيغية موحدة لا تتعارض مع فكرة وجود قواسم ثقافية مشتركة بين المجموعات البشرية الناطقة بالأمازيغية، و صحيح أن بعض هذه القواسم موجودة حتى في الثقافة العربية المغاربية لكن منشأها الأمازيغي أمر لم يعد يقبل الجدل، و تتجلى الجذور الأمازيغية للثقافة العربية في ميادين عدة كالموسيقى و الرقص و الحكايات

(1)- محمد آكلي حدادو، مرجع سابق ذكره، ص16.

(2)- المرجع نفسه، ص17

الشعبية و فن الزخرفة و الصناعات الحرفية⁽²⁾. و بحكم الثقافة الأمازيغية ظلت لقرون ثقافة شفوية، فإن الحكايات و الأمثال و الحكم الشعبية هي الفتي تمثلها اليوم أبلغ تمثيل على المستوى اللغوي، و مازال الشغل الشاغل للباحثين في اللغة الأمازيغية هو كتابة هذا الإرث الشفهي و نشره في الكتب و المجالات المختصة (مجلة "أوال" الجزائرية مثلا) وكذا موقع الأنترنت.

أما على مستوى العادات و التقاليد فتتجلى هذه الثقافة في فن طبخ تقليدي و طقوس إجتماعية عديدة (حفلات زفاف.. و أعياد زراعية... إلخ)، و قد حافظ العديد من الضروب الشعرية الأمازيغية على وجوده حتى يومنا هذا و من بينها نجد النوع الغزلي المسمى "إيزلي" و "الأهليل" و هو قصيدة دينية إبتهالية معروفة في مناطق كثيرة ناطقة باللغة الأمازيغية (الجزائر، جنوب المغرب... إلخ)، كما يعرف الشعر الأمازيغي أنواعا أخرى كالقصائد الملحمية و السياسية و الفلسفية، و نجد أيضا الرقصات الأمازيغية القديمة التي تمثل تشكيلة بالغة الغنى، و من بين هذه الرقصات المعروفة في المغرب "تيسيت" و هناك في الجزائر بما تسمى برقصة "الترحاب" التي مازالت تمارس في الإحتفالات العائلية أو القروية في الأوراس و المناطق المحاذية له مثلها مثل الرقصة التقليدية النسائية القبائلية، و هناك أيضا الموسيقى التي هي من العنصر المكونة للهوية الأمازيغية، حيث نالت هذه الموسيقى شهرة عالمية بفضل الجرأة الخلاقة لمغنين نجد من بينهم المغني الشهير "إيدير" و آخرون و أيضا لوجود جاليات أمازيغية معتبرة في أوروبا و غيرها من بلدان العالم.¹

كما إحتفظت الثقافة الأمازيغية بفن زخرفي موغل في القدم ، و يتجلى هذا الفن الزخرفي العريق في نسيج الزرابي و صناعة الزخرف حيث يتخذ أشكالا و رسومات هندسية تستعمل فب أغلب الأحيان حروف الأبجدية "تيفيناغ"، كما أن الصناعات الحرفية من ذهب و فضة و غيرها من عناصر آخر لا يمكن تجاهله من عناصر هذه الثقافة بل و هي إحدى الوسائط التي بدأت تعرف بها على المستوى العالمي.²

(1)- عبد العلي الودغيري، مرجع سابق ذكره، ص 9.

(2)- محمد آكلي حدادو، مرجع سابق ذكره، ص 17.

خلاصة الفصل الأول:

في نهاية هذا الفصل الأول نكون قد إستخلصنا العديد من النقاط و هي التعاريف المختلفة للثقافة منها التعريف اللغوي و التعريف الإصطلاحي حيث أن إختلفت التعاريف من باحث لآخر و أيضا تطور مفهوم الثقافة من فترة إلى فترة أخرى، و تطرقنا إلى خصائص و مكونات و وظيفة الثقافة، كما خلصنا أيضا إلى السياق التاريخي للعلاقات الأورومغربية و المراحل التي مرت بها هذه العلاقة الأورومغربية و أهمية البعد الثقافي في العلاقات الأورومغربية الذي لقي نوعا من الإهمال في العلاقات المبرمة بين الضفة الجنوبية و الشمالية للمتوسط، وأيضا تطرقنا إلى عوامل قيام العلاقات الأورومغربية منها (العامل السياسي، الثقافي... إلخ) وكما تطرقنا إلى أهم مكونات الثقافة المغربية و المبادئ الأساسية لهذه الثقافة و كذا الخصوصية الدينية للدول المغرب العربي و مدى تأثيرها على العلاقات الأورومغربية و في الأخير تحدثنا عن المعطى الثقافي الهوياتي الأمازيغي و دوره في تأثير على العلاقة الأورومغربية.

الفصل الثاني: تأثير

العوامل الثقافية

على العلاقات

الأورومغاربية

مقدمة الفصل الثاني:

بعد نهاية الفصل الأول والذي تناولنا فيه الإطار النظري والمفاهيمي للثقافة و السياق التاريخي للعلاقات الارومغربية،و تناولنا أيضا مكونات الثقافة المغربية و تأثيرها على العلاقات الأورومغربية، ففي الفصل الثاني سوف نتطرق إلى تأثير العوامل الثقافية على العلاقات الارومغربية ،حيث أنّ الاهتمام بالعوامل الثقافية في العلاقات الارومغربية ليس وليد اليوم بل هو محور أساسي في أي علاقة بين طرفين أو مجموعة أطراف ،إنّ العامل الثقافي قيمة ثابتة في أي علاقة ولا يمكن تجاهلها. وهذا الفصل يحتوي على ثلاث مباحث و كل مبحث يتكون من ثلاث مطالب.

المبحث الأول: الأطروحات الفكرية (السياق النظري)

للتأكيد على أهمية و تأثير الجانب الثقافي في العلاقات الارومغربية بشكل خاص نلاحظ

انه هناك أطروحات مختلفة تغذي جدلا واسعا على المستوى العالمي.

المطلب الأول : أطروحة نهاية التاريخ «فرنسيس فوكوياما»*

نظرية نهاية التاريخ صاحبها فرانسيس فوكوياما في مقاله الشهير نهاية التاريخ شارحا نظريته

بالقول إن ما تشهده الآن ليس نهاية للحرب الباردة أو مرو فترة معينة لمرحلة ما بعد الحرب،

وإنما نهاية للتاريخ.

بوضع حدّ للأفكار الإيديولوجية في التاريخ الإنساني وانتشار قيم الليبرالية الديمقراطية

الغربية، و تقوم نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، والتي اختلفت الآراء حولها بين مؤيد و

معارض، على ثلاثة عناصر أساسية .

العنصر الأول هو أنّ الديمقراطية المعاصرة قد بدأت في النمو منذ بداية القرن التاسع عشر،

وانتشرت بالتدرّج كبديل حضاري في مختلف أنحاء العالم للأنظمة الديكتاتورية.العنصر

الثاني هو أنّ الصراع التاريخي المتكرّر بين "السادة" و "العبيد" لا يمكن أن يجد له نهاية

واقعية سوى في الديمقراطيات الغربية و اقتصاد السوق الحرّ. أمّا العنصر الثالث في نظرية

*فرانسيس فوكوياما كاتب و مفكر أمريكي من أصول يابانية ولد سنة 1952، يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد، من كتبه

كتاب "نهاية التاريخ و الإنسان الأخيرة

فوكوياما، هو أنّ الاشتراكية الراديكالية أو الشيوعية لا يمكنها لأسباب عدّة أن تتنافس مع الديمقراطية الحديثة. وبالتالي فإنّ المستقبل سيكون للرأسمالية أو الاشتراكية الديمقراطية. و طبقا لنظرية فوكوياما، فإنّ الديمقراطية قد أثبتت في تجارب متكررة منذ الثورة الفرنسية و حتّى في وقتنا هذا، أنّها أفضل النظم التي عرفها الإنسان أخلاقيا و سياسيا و اقتصاديا، ولا يعني فوكوياما أنّ نهاية أحداث العالم في التاريخ قد انتهت، و إنّما التاريخ هو الذي انتهى، حتّى وان عادت نظم استبدادية للحكم في مكان ما، فإنّ الديمقراطية كنظام سقوي اعقد ممّا قبل.¹

وقد انتقد فوكوياما لبناء نظريته على النموذج الأمريكي للديمقراطية الغربية، لكنّ مؤيدوه يدافعون عن نظرية نهاية التاريخ بالقول إنّ المنتقدين قد اسأؤو قراءة النظرية، حيث يرى فوكوياما أنّ العالم سيشهد المزيد من الحكومات الديمقراطية بمختلف أشكالها في السويد، تركيا، الهند، غانا و فنزويلا، كما يتمّ التدليل على فشل نظرية فوكوياما من خلال تصاعد حركات و أفكار إسلامية في الشرق الأوسط أو نجاح الحركات اليسارية في أمريكا الجنوبية. بعد العام 1989، أي بعد الحرب الباردة و انهيار الشيوعية، وتفكيك الاتحاد السوفياتي وبعد توسع البلدان التي كانت تدور في فلك موسكو، ارتبط بهذه الفترة وبعد عدّة سنوات اثنان من المفكرين الأمريكيين، وقد أدت بحوثهما إلى نتائج مختلفة إن لم نقل أنّها متناقضة. ولقيا شهرة واسعة سواء في الولايات المتحدة أو في العالم برمّته. الأول هو فرانسيس فوكوياما، الذي نشر في صيف 1989 نصيحة موجّهة إلى وزير الدفاع الأمريكي على شكل مقالة

(1)-حسين أحمد أمين، ترجمة نهاية التاريخ و خاتم البشر لفرانسيس فوكوياما، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة، 1992)، ص6

بعنوان "نهاية التاريخ" في مجلة (the national interest) ثم طوّر هذه المقالة بعد ثلاث سنوات في كتابه : نهاية التاريخ والإنسان الأخير حيث كان العنوان بحدّ ذاته مثيراً، فحاول فوكوياما تفسير نهاية القرن العشرين من خلال المفاهيم المستعارة من هيغل^{1*} و شارحة الفرنسي كوجيف.^{2**}

لقي هذا البحث مباشرة نقداً عنيفاً سواء من أولئك الذين قرؤوه بشكل سطحي، أو لم يقرؤوه على الإطلاق لأنهم فهموا مصطلح نهاية التاريخ كاختفاء كامل للتاريخ. و أكد فوكوياما بإصرار شديد أنّ التاريخ قد توقّف بعد نصر الديمقراطية على الأنظمة الشمولية سواء على الفاشية التي قامت فيما بين الحربين أو لاحقاً الشيوعية، و بالتالي يكون هناك حروب بين الشعوب أو صراعات بين البشر. فهكذا فإنّ تقديمه مكّن من دحض البحث بسهولة لأنّه ابتعد في كثير من الأحيان عن الهدف الأساسي لفوكوياما وفي أحيان أخرى كان طموحاً للغاية و اتّصف بأنّه معقّد و جافّ.

انطلق فوكوياما من صياغة هيغل الذي اعتبر أنّ التاريخ قد توقّف في عام 1806 ، عندما رأى نابليون يمتطي حصانه ويمرّ تحت نافذته.

*جورج فريديريك هيغل (1770-1831): هو فيلسوف ألماني، مؤسس الحركة المثالية الألمانية.

**ألكسندر كوجيف (1902-1968): فيلسوف فرنسي من صل روسي، يعتبر أكبر شراح هيغل.

الكسندر كوجيف في محادثة مع جيل لابوج في عام 1968، استنكر هذه القصة و أكد انه "لم ير ستالين يمز على حصان تحت نافذته"، ولكن مع ذلك يعتبر أن الاتحاد السوفياتي يساهم في قيادة التاريخ نحو نهايته.

يتبع فوكوياما خطى سلفية هيغل و كوجيف فيرى أن "مصطلح نهاية التاريخ" هو الذي يريد أن يقول أن حل مشكلة نهاية التاريخ وجدت منذ الثورة الفرنسية، فنحن لا نستطيع أن نتجاوز مبادئها سواء السياسية أو الفلسفية. انه لا يريد القول بأن التاريخ ليس ممكن، ولكن مفهوم التاريخ و تفسيره وحل إلى نهايته، و على هذا فالفاشية و الشيوعية و الأصولية الإسلامية حسب هذا الافتراض ليست سوى انحرافات بالمقارنة مع الاتجاهات الأخرى العظيمة التي تكون في بعض الأحيان سيئة و لكنها ليست معادلة لفكرة الديمقراطية.

ومن خلال هذه السطور القليلة لا يمكن عرض كل التساؤلات و الانتقادات التي وجهت إلى هذا البحث. وبعض هذه التساؤلات وجهها فوكوياما لنفسه في الجزء الأخير من كتابه "إذا انتصر الهدف فإن الناس ليسوا بحاجة إلى الصراع من اجله و استمرار الصراع هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان فهل سيحاول هذا الإنسان العودة إلى الصراع؟

المطلب الثاني: النظريات الاجتماعية للأمن (النظرية البنائية)

- ساهمت التحولات الكبرى التي شهدتها العالم مع الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة في تغيير مضمون العديد من المفاهيم السائدة في العلاقات الدولية، من بينها مفهوم الأمن الذي لم يعد يقتصر على المدلول التقليدي العسكري، بل تعداه إلى المدلول الاجتماعي (الأمن

الاجتماعي) بفعل التّغيير في طبيعة و بنية التّهديدات من خلال ظهور ما يعرف بالأخطار الجديدة التي أصبحت تشكّل تحدّيًا لأمن المجتمعات السّياسيّة الحديثة، فالمؤشّر الديموغرافي أصبح يشكّل أهمّ الانشغالات الكبرى للأمن بمدلوله الحديث و الموسّع، بحكم الهواجس التي أضحت تنتاب دول الشّمال جرّاء أمواج الهجرة الوافدة من الجنوب.¹

- الهجرة غير الشرعيّة من الأخطار والتّهديدات الأمنيّة الجديدة التي برزت بشكل ملحوظ خلال هذه الفترة كتهديد امني جديد يمسّ الوحدة المرجعيّة للأمن بأبعاده المختلفة و على رأسها الأبعاد المجتمعيّة، و يعدّ الاتحاد الاوروبي احد أهمّ الفواعل الجديدة المعنيّة أكثر بهذه الظّاهرة و تجلّت معالم هذا التّهديد بشكل ملحوظ في خطب النّخب الاوروبيّة في العديد من المناسبات ، أين دعّمتها جملة السّياقات و على رأسها أحداث الحادي عشر سبتمبر 2011، إذ يلاحظ أنّ هناك تعاملات مختلفة حول هذا الموضوع عبر ثلاث مستويات.

*ومن بين النّظريات المفسّرة لظاهرة الأمن في العلاقات الدّولية نجد النّظريّة البنائيّة التي تقترب من الأمن اقترابا و طرحا ذاتيّاً ممثّلا في الاتّجاهات الجديدة

- النّظريّة البنائيّة: (constructivisme)

تقدم هذه النظرية تطورا مغايرا مع ؟ التقليدية، تزامن ظهورها مع التحولات التي شهدتها العلاقات الدولية في فترة الثمانينات لتشمل فترة ما بعد الحرب البارد، هم الأستاذ (الكسندر ويندت (A- Wendt) و (نيكولاس اونف (N- Onuf)، و قد أصبح هذا البردايم الأكثر

(1)- خديجة بقة، السياسة الأمنية الأوروبية في مواجهة الهجرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، (كلية العلوم السياسية: الجزائر، 2013)، صص 5-6.

بروزا على نحو متزايد للعلاقات الدولية منذ ظهوره، إذ يعتمد على مزيج بين المنهج السوسيولوجي و النظرية النقدية.¹

تقتض البنائية أن العالم يتشكل اجتماعيًا من خلال التفاعل بين الهياكل و الوكلاء إذ تشكل بعضها البعض، و للأفكار و المعايير و الهويات هي الديناميات المركزية للسياسة العالمية، وتقترب من هذه الأخيرة اقترابا اجتماعيًا، إذ تركّز على السياق الاجتماعي و طبيعة الذاتية المؤسسة للقواعد و المعايير في تشكيل هوية الفاعلين ، و تركّز على دور

الهياكل المعيارية في تحديد طبيعة المصالح و الإجراءات لجهات الوكلاء (هذه الهياكل ليست كائنات يتجسد فيها ، هي موجودة بشكل مستقلّ عن الجهات الفاعلة و لكنّ يمكن تغييرها من قبل الأخير)²

يتصوّر البنائيون الأمن على أنه التزام التّحديد على خلاف الواقعيين (نظرية السياسة الأمنية و السلطة)، فالبنائية تتحاشى التّركيز على سياسات القوة للأمن وتركّز بدلا من ذلك على وضع قواعد مناسبة لإدارة المنافسة بين الدول، و إضفاء الطابع المؤسسي على شكل أوسع من المجتمع السياسي، و يختلف تصوّر البردايم البنائي للأمن عن التّصور الواقعي هذا الأخير الذي يحصره بمفهوم ضيق في الدول و الجيوش و استخدام القوة و التّهديد باستخدامها، فيتبنّى الطّرح البنائي نظرة تعددية على مستوى القواعد و التّفاعلات الأمنية.⁽¹⁾

(1)- فيصل سمارة ، مرجع سابق ذكره، ص5.

(2)-خديجة بقة، مرجع سابق ذكره، ص ص 7-8.

وبحسب كارين فيارك (K- Fierke)، الأمن عبارة عن بناء اجتماعي فهو الفعل الذي يجلب إلى حيّز الوجود موضوعا أو شيئا محسوسا لم يكن موجودا، لكنّ هذا لا يعني بالضرورة أنّه لا يوجد للشيء علامة أو أنّ هذا الأمن مجرد من المعنى، فالأمن يمكن أن يفهم على سبيل المثال على أنّه حماية القيم المركزيّة للجماعة، بيد أنّ تعريفا كهذا للأمن يخبرنا القليل عن ماهية هذه الجماعة في حدّ ذاتها، وما هي قيمها الجوهرية ومن هي الجهة التي يمكن أن يأتي منها التهديد لهذه القيم و كيف يمكن تحقيق الحماية لهذه القيم وترقيتها. فالجماعة موجودة لكنّ التهديد قد يوجد في مرحلة و يختفي في مرحلة أخرى و العكس صحيح.

يحاول البنائيون تجنّب تعريفات تحليليّة شاملة و مجردة من الأمن إذ تعترف بأهميّة الهويّة للأمن في البنائية فالعوامل الغير المادية أو الفكرية بشكل عام تعتبر أساسية لبناء و ممارسات الأمن في السّياسيّة العالميّة، وبصرف النّظر عن هويّة (تصوّرات) الفاعل الأمني فالعلاقة بين الهويّة والأمن تساعد على تحديد مصالح الدّولة، والهويّة هنا غير مستقرّة مركّزين على أسئلة: لماذا تتصرّف العوامل الأمنيّة هكذا؟ أو لماذا هذا الواقع هكذا؟ لكي يشرروا لوجود علاقة سببيّة بين الهويّة والمصالح، وتعرف العلاقة وفق ال نحن والأخر، وتنطوي تعاريف الأمن عند البنائيّة بالابتعاد عن التعاريف التي تحصر الأمن في تحرير و الحفاظ على إقليم الدّولة بل بالتركيز على أنّ للأمن وظيفة سياسيّة و اجتماعيّة في الحياة.¹

¹ barbara delcourt, **theorie de la securite**, oriental relation international, (bruxell: institu d'etude europeen, 2006-2007),p11 .

دور الخطاب في تحديد الأمن:

ركّز البنائيون على كيف يبنى الخطاب "الأخر" و الخطر ليس بشرط(فعل) موضوعي و ينظر للأمن بوصفه مجموعة معيّنة من الكلام التاريخي والممارسات القائمة على المعاني و المؤسسات المشتركة، و يقدّم "ويندات" ثلاث أنواع من الثقافات الفوضويّة:

الفوضى الهريزيّة: و هي التي ترى فيها العوامل الأمنيّة بعضها البعض كأعداء، الجميع ضدّ الجميع) وهي سمتة العنف المتفشّي الذي يمتدّ من العصور القديمة إلى العصور الوسطى).

الفوضى اللوكيّة: وفي هذا النوع، العلاقة الأمنيّة معرّفة بمنطق التّنافس مع وجود الاعتراف ولا ينكر حقّهم في الوجود وهذه الفوضى هي سمة النظام الوستقالي التي ظهرت في القرن 17 و الاعتراف بمبدأ السيادة.

الفوضى الكانطية: ووفق هذا النّمودج تتطرر الوحدات إلى بعضها البعض كأصدقاء في إطار مسلمة "هيكل الدّول" التي تشجّع الدّول على الامتثال للقواعد السّلمية، للخلافات و التّضامن عندما يصبحون في خطر امني، الجميع مع الجميع (وهذه الثّقافة تتمركز خاصّة في شمال المحيط الأطلسي)

وفي الأخير ووفق البنائيّة فإنّ الأمن بناء اجتماعي يبنى بأشياء مختلفة في سياقات مختلفة.¹

¹ barbara delcourt,op,cit,p30.

المطلب الثالث: أطروحة صدام الحضارات "صمويل هنتغتون " S.H

تري هذه الأطروحة أنّ الصّدام بين الحضارات هو الذي سيهيمن على مستقبل العلاقات الدولية فيما بعد، وهذا ما أكده البروفسور الأمريكي صامويل هنتغتون « S.Huntington » و الذي يوضّح أنّه في العالم الجديد لن تكون للصّراعات أسباب إيديولوجيّة و اقتصادية بشكل خاصّ فالأسباب الرّئيسيّة للصّراع سيكون ثقافيًا.¹

و بالفعل لقد خلقت هذه النظريّة سجالا ثقافيًا واسعاً وهذا لأهميّة الأفكار التي جاءت بها، حيث استطاع صمويل هنتغتون و بنظرة قويّة للمستقبل التّعبير عن مرحلة جديدة سيكوّن للجوانب الإنسانيّة بشكل عامّ الدّور الحاسم في رسم السّياسات العامّة و التّوجّهات على المستوى الدّاخلي للدولة أو على مستوى العلاقات الدّولية عامّة.²

غير أنّ نظريّة صدام الحضارات هذه ليست جديدة بل هي تمتدّ إلى أعماق التّاريخ الإنساني و التّصادم الحضاري فهي حتميّة موجودة ما دامت الاختلافات قائمة، و منذ القدم كانت هناك أساطير منتشرة في اوروبا تعتبر امّة معادية لكلّ ما هو أوروبي أو غربي، و الشّعور نفسه عندما نغيّر أطراف المعادلة ، فالعرب أيضا يشعرون بأنّهم مضطهدون من قبل الغرب ، و هذا ناتج عن أسباب قد تكون ثقافيّة و دينيّة بالدّرجة الأولى، و هو ما يراه المسلمون إلى يومنا هذا فيما يتعلّق بالحملة الصليبيّة منذ بدايتها في العصور الوسطى حيث هي مبنية على عدااء الغرب المسيحي للشرق المسلم.

(1)-خديجة بقة،مرجع سابق ذكره،ص ص 22-23.

(2)- أمال يوسف، بحوث في علاقات التعاون الدولي، (الجزائر : دار النشر و التوزيع،2008)،ص80.

و يقول "ميشال بروندينو" هناك فترة قديمة تتعمق كذلك بين الساحل الشمالي و الجنوبي للبحر المتوسط إلى درجة انه يمكن القول أننا نعيش بالفعل و بشكل غير معلن أحيانا صراع حضارات.¹

و قد تدعّمت هذه الأطروحة و بشكل قياسي عما كان عليه العالم سابقا، منذ أحداث 11 سبتمبر 2001، أصبح الحديث عن صراع الحضارات حقيقيا وليس مجرد نظريات، فأصبح العالم كله يلهث وراء تفسير حقيقة هذه الهجمات و لم تكن هناك من إجابة سوى تلك التي تنادي بصراع حضاري لا بدّ منه، فبعد هذه الأحداث تعالت الأصوات منها إعلامية، سياسية و حتى فكرية في الغرب و في العالم الإسلامي و مناطق أخرى من العالم معلقة تحقّق التصادم الحضاري و اعتبروا هذه الانفجارات بمثابة هجوم على الحضارة الغربية و تهديد العالم الحرّ و بداية صداع انتروبولوجي بين الغرب و الإسلام. و يعتقد الباحث الأمريكي توماس فريدمان بأنّ هذه الهجمات هي ضدّ ما وصل إليه الغرب من رؤية للعالم و ضدّ الحداثة القائمة على العلمانية و ضدّ أفكار التسامح و الحرية و لم يتردّد دومينيك مويزي مدير المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية في التصريح بأن هنتغتون كان على حقّ و بأنّ الحرب بين كتل ثقافية مختلفة فيما بينها و متعارضة.²

(1) - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع حضارات إلى أنسنة الحضارات، (بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص 217.

(2) - المرجع نفسه، ص 218.

صمويل هنتغتون (الذي هو أستاذ في جامعة هارفيرد) والذي خاف من صدام للحضارات بداية في مقالته المنشورة في مجلة (Forgein Affairs)، و من ثم في كتابه "صراع الحضارات" بالنسبة له السبب الأساسي و الأول للصدام في هذا العالم ليس هو الايديولوجية أو الاقتصاد، بل المصدر الأساسي هي الثقافات ، حيث يرى أنّ الدول الوطنية ستبقى العامل الأساسي الأكثر قوة في المشهد العالمي، لكن الصراعات المركزية في العلاقات الدولية تتجاوز القوميات و المجموعات و ترتفع إلى الحضارات المختلفة.

صراع الحضارات يهيمن على السياسة الدولية برمتها، و بالنسبة لصمويل هنتغتون الحضارات تعرف من خلال العلاقة مع الدين الذي يشكّل مرجعيتها كالمسيحية و الإسلام و البوذية... الخ.

هذا الكتاب أيضا كان موضوع للكثير من المناقشات، بعضها اقترب من الكاتب لكي يرسم صورة للغرب المحاط بحضاراته معادية له، بدون أن يضعوا في حسابهم الترابط الشديد بين الحضارات في عصرنا، بينما يرى المفكر الفلسطيني الراحل "ادوارد سعيد" أن هذا لن يكون صراع حضارات و إنما جملة، و قد عبّر عن وجهة نظره هذه في مقالته المنشورة في مجلة " Le monde الفرنسية تحت نفس العنوان، بينما آخرون اعتمدوا على العودة إلى الدين لكي يثبتوا نظرية هنتغتون الذي تخيل في الفصل الأخير من كتابه إنّ الإسلاميين يمتلكون

السلاح النووي.¹

(1) - آمال يوسف، مرجع سابق ذكره، ص ص 81-82.

المطلب الرابع: مقارنة (إدارة التّوحش لأبي بكر ناجي)

ظهرت في الآونة الأخيرة ما يعرف بعدّة تنظيمات إرهابيّة بأسماء مختلفة، إلّا أنّ الهدف واحد وهو القتال و الذّبح و التّهجير والتّفجير باسم الإسلام ومن حدث فريد من نوعه، تقوم إحدى هذه التّنظيمات بنشر كتاب لها يوضّح إستراتيجيّتها و فكرها و عقائدها، و ربّما احدث هذا الكتاب ضجّة في العالم بأسره و تناولته جميع وسائل الإعلام العالميّة و أجهزة الاستخبارات العالميّة ومراكز البحوث.

يرجع تأليف هذا الكتاب إلى شخصيّة تدعى أبو بكر الناجي*، الذي اثار جدلا كبيرا حول شخصيّته، أحقّا من يكون أو ذهب البعض إلى أنّه اسم وهمي لقائد كبير في تنظيم القاعدة، و ربّما ذهب البعض إلى أنّها شخصيّة لظابط مصري يدعى " سيف العدل" منسّق الشّؤون الاستخباراتيّة في تنظيم القاعدة و مازال الجدل قائما.

يبدأ الكاتب بتعريف مصطلح إدارة التّوحش و يقصد منه هذه المنطقة التي تعاني اضطرابات و ثورات "حالة من الفرض" كيف يتمّ الوصول بها إلى هذه الحالة! كيف تتمّ إدارتها بعد هذه المرحلة؟

و يسترسل الكاتب في تعريف مصطلحات الجهاد لدى جميع الجماعات الإسلاميّة، و ينتقد البعض منهم و يتّفق مع الآخر ثمّ يبيّن كيف أنّ هذه الدّول المعروفة بدول الشّرق الأوسط و المجتمعات الإسلاميّة تكون تحت وطأة الاستعمار الأمريكي و الغرب منذ سقوط الاتحاد

*أبي بكر ناجي: شخصيّة غامضة لحد كبير و إنه ليس إسمه الحقيقي و يقولون مراقبون أنّه شخصيّة لظابط مصري، يرتبط بالقاعدة إرتباطا إيديولوجيا لتنظيميا، كما أنّ لإبي بكر ناجي علاقة مع مركز البحوث و الدراسات الإسلاميّة.

السوفيّاتي مستخدما التاريخ لإثبات ذلك و يعطي بعض النّماذج و الأمثلة للتّدليل على ما يقول.

كيف لنا أن نتخلّى عن هذا الاستعمار من وجهة نظره في نقاط معيّنة تتلخّص في إنهاك الأنظمة الحاكمة اليوم أو ما يسمّيها جيوش الرّدة على حدّ تعبيره، سواء من خلال ضرب مواقع اقتصادية أو بعض العمليات الجهاديّة التي تستهدف أماكن حسّاسة في شتّى الدّول. هو يضع بذلك إستراتيجية كاملة حتّى تصبح هذه الدّول منهكة في الخراب و الدّمار و بالتّالي يستطيع إنهاك الدّول الغربيّة ذات المصالح المشتركة مع دول الشرق الأوسط مثل ما حدث مع الاتحاد السوفيّاتي إبّان الحرب الباردة مستخدما الخطّة الأمريكيّة، ثمّ كفيّة إدارة هذه البلاد مستخدما التّعاطف الديني والإعلام في كسب النّخبة من الشّعوب الإسلاميّة، و كشف حقيقة أمريكا و حلفائها، ثمّ أنّه يربط كلّ فعل يقوم به بكلمة أصبحت تستخدم في العنف قبل السلام، و أنّه يستخدم كلمة الإسلام و أقوال علماء كانت فتواهم مقيدة بزمن معيّن و بظروف معيّنة.

أشار الكاتب إلى عدّة نقاط تستوجب الوقوف و الوقوف كثيرا أمامها، كفكرة استغلال الظّلم الذي يعاني منه كثير من الشّباب، و فكرة الجهاد و الفتوى الجائزة.¹

تحدّث أيضا عن مجتمع متسامح يملؤه الحبّ و السّلام و حاول أيضا بناء دولته على قتل و نهب للأموال و انتهاك حرّيات العقائد الأخرى، و اتّصل الكاتب اتّصالا مباشرا بالواقع الذي

(1)- أبي بكر ناجي، إدارة التوحش أخطر مرحلة ستمرّ بها الأمة، (لبنان: مركز الدراسات و البحوث الإسلامية، 2008)، ص

نعيشه في ظلّ جماعات إرهابية متطرّفة تحاول فرض نفسها بقوة داخل المجتمعات الإسلامية مستخدمة القوة و الفكر الديني المتطرّف.

و في الأخير يمكن القول إنّ هذا الكتاب منع من التداول في كثير من الدّول العربيّة و اكتشفته السّلطات السّعوديّة عام 2008، و لكنّه أصبح متاحا لاحقا في أكثر من 18 ألف رابط في الشّبكة العنكبوتية وترجمته وزارة الدّفاع الأمريكيّة للغة الانجليزية و من بين فصوله نجد: التّوحّش بين الماضي و الحاضر، البعد العسكري في إدارة التّوحّش، قواعد و وصايا، تحقيق الشّركة، مستقبل المشروع بين الآن و الآخر.¹

(1) - أبي بكر ناجي، مرجع سابق ذكره، ص18.

المبحث الثاني: السياسات الاروبية في منطقة المغرب العربي من

منظور ثقافي

انتهجت الدول الاروبية عدّة سياسات تجاه دول الضفة الجنوبية من المتوسط منذ الستينات من القرن الماضي، حيث كانت هذه البداية نحو علاقات قائمة على نوع جديد بين البلدان المتوسطية، فالبلدان الاروبية لم تعد دولا ذات صفة استعمارية للدول الجنوبية بعد نيل البلدان الجنوبية استقلالها، وبدأت هذه الاتفاقات مقتصرة على المجال التجاري ثم حققت قفزة نوعية نحو مجالات أخرى مالية اقتصادية. و عرفت باتفاقيات التعاون و أخيرا اتفاقيات الشراكة مع الاتحاد الاروبي و التي أصبحت أكثر شمولية و أوسع نظرة لمجالات أخرى منها: سياسية، أمنية، اقتصادية، مالية و ثقافية، فلقد مرّت هذه السياسات الاروبية بعدة مراحل تميّزت كلّ واحدة منها بمجالات معينة ، التي كانت خاضعة للظروف و المستجدات الدولية و المحلية في المنطقة المتوسطية عموما و منطقة المغرب العربي خاصة.¹

غير أنّ الملاحظ للعلاقات القائمة بين الصّفتين الارومغاربية إلى غاية 1996، لم تنفي تماما البعد الثقافي و الإنساني في الحوار الاروبي المغاربي.

(1) - فيصل سمارة، مرجع سابق ذكره، صص 37-38.

المطلب الأول: البعد الثقافي في المشاريع المختلفة في منطقة المغرب

العربي:(مسار برشلونة، مجموعة دول غرب المتوسط 5+5، سياسة

الحوار الاوروبية، الاتحاد من اجل المتوسط)

- مسار برشلونة: طرح الاتحاد الاوروبي ابتداء من 1995 نوعا جديدا من العلاقات مع بلدان المتوسط، يتمثل فيما يعرف بالشراكة الارومتوسطية و تندرج هذه الشراكة ضمن نظرة جديدة للاتحاد الاوروبي في إطار الاستجابة للتحديات الجديدة.¹

انعقد المؤتمر يومي 27-28/11/1995، والذي ضمّ 27 دولة ، 15 دولة تمثل الاتحاد الاوروبي و 12 دولة تمثل دول الشاطئ الجنوبي و الشرقي للبحر المتوسط (مصر - الجزائر - تونس - المغرب - موريتانيا - إسرائيل - السلطة الفلسطينية - سوريا - لبنان - مالطا - قبرص)²

يعتبر مجال الشراكة الثقافية من أهم مستويات الشراكة حيث أنّ هذا المجال يمثل مجالا حقيقيا للتقارب و تطوير الإدراك المتبادل بين دول المتوسط بضعفتيه الشماليّة و الجنوبيّة، وجاء هذا المؤتمر ليؤكد على مجموعة من المبادئ من الممكن التوصل إليها عن طريق العمل المشترك بين كافة الأطراف و أيضا التصدي لكل أنواع و أشكال العداء الإنساني

(1)- محمد أبو العنين، "العلاقات الدولية الإفريقية بعد إنتهاء الحرب الباردة"، السياسة الدولية، عدد 140، أبريل 2000، ص 19.

(2)- فيصل سمارة ،مرجع سابق، ص 44.

المتمثلة أساسا في العنصرية و التعصب و التمييز. و يؤكد المشاركون على مجموعة من المبادئ أهمها

الحوار و الاحترام المتبادل بين الثقافات و الأديان ويعتبران هذان المقتربان ضروريان للتقريب بين الشعوب، وفيما يخص هذا العنصر فقد تم التأكيد على الدور الكبير الذي تلعبه وسائل الإعلام.

التأكيد على ضرورة تحقيق تنمية بشرية مستدامة و هذا فيما تعلق بميادين التعليم و تأهيل الشباب وتكوينهم وكذا ضمان يسر التبادلات الإنسانية بين ضفتي المتوسط.

الاعتراف بالدور الأساسي الذي يلعبه المجتمع المدني و الذي يعتبر عاملا هاما لتقارب الشعوب ، فمن خلال المجتمع المدني يمكن تطوير الجانب الثقافي و الإنساني في هذه الشراكة الارومغربية فهو يسهل المبادلات بين قواعد التنمية، إضافة إلى الجامعات و المجموعات البحثية، إعلام، جمعيات مدنية، منظمات، نقابات.....

ومن خلال هذه المبادئ فالمضمون الحضاري و الإنساني لمسار برشلونة، هو بمثابة

روح جديدة لمسار الشراكة الارومتوسطية و التي تعتمد على الإدماج بل الإقصاء و التي

تتعدى إلى الوسائل الكلاسيكية و التي تركز على السياسيين و إنما تكون بمشاركة

الأفراد و المجتمعات المدنية و تحقيق التبادل الثقافي و الحضاري بدل تهميش و إقصاء

الشعوب خاصة في ظل النظريات التي تلح على صراع الحضارات و رفض الآخر.

أهمية القطاع الصحي في تحقيق التنمية المستدامة و ضرورة مشاركة المجتمع المدني في

تحسين النشاطات و ترقية السكان صحيا و معيشيا.

تنمية المبادلات بين المجتمع المدني عن طريق البرامج اللامركزية للتعاون.

و تضمن إعلان برشلونة ببناء يشجع التبادل بين المجتمعات المدنية عن طريق المشاركة

الإنسانية و الثقافية عن طريق:

البرامج المتعددة في المجال الثقافي: ويمكن الإشارة إلى هذه البرامج في :

برنامج ميدا الديمقراطية (Meda démocratie) : هدفه إقامة أنظمة ديمقراطية في

المنطقة من خلال ترسيم مشاريع مدعمة من طرف منظمات غير حكومية.

برنامج اوروماد للشباب (Euro Med jeunesse): من أجل تسهيل إدماج الشباب في

الحياة المهنية و الاجتماعية و رصد هذا البرنامج حوالي 10 مليون اورو في القسم الأول و

14 مليون اورو في القسم الثاني.

برنامج ميدان السمعي البصري (Med audio vis): رصدت له حوالي 20 مليون اورو

هدفه تعزيز التعاون في هذا المجال.

هذه هي مجمل المبادئ المتفق عليها فيما يخص الجانب الثقافي و الإنساني في الشراكة

الارومتوسطية وفي مؤتمر برشلونة ومنذ تلك الحقبة و الفترات اخذ الحديث يتصاعد عن

أهمية المحور الثقافي.¹

وهذا ما يمكن أن نلاحظه لا سيما اللقاءات المتتالية لمسار برشلونة في حد ذاتها أو فيما

يتعلق بمشاريع متوسطة جديدة و نذكر على سبيل المثال : اجتماعات دول غرب المتوسط

و التي أصبحت تركز على الجانب الإنساني و البعد الثقافي بشكل كبير حيث أصبحت

(1)- فيصل سمارة ، مرجع سابق ذكره، ص45.

مئات المواضيع كالهجرة، التّطَرّف الديني... الخ قضايا نقاش رئيسيّة، ففي لقاء الـ 10 دول من غرب المتوسط عام 2004 بفرنسا تمّ التأكيد على ضرورة التّعاون لمواجهة أخطار مهدّدة للمنطقة كالإرهاب، تهريب المخدرات، الهجرة بأنواعها...، وهناك مسالة أخرى تتمثّل في دور الجالية المغاربيّة المقيمة في اوروبا في مشروع الشراكة الاارومغاربيّة باعتبار المهاجر حلقة وصل بين الضّفتين.¹

• مجموعة دول غرب المتوسط (5+5):

هو طرح للرئيس الفرنسي فرانسوا ميران و وزير خارجيّته حيث كان هذا الطّرح عام 1983 حين طلب من مراكش على فكرة عقد مؤتمر حول دول غرب المتوسط، كان يضمّ: اسبانيا، البرتغال، و فرنسا كأطراف أروبيّة، في المقابل نجد كلّ من الجزائر، المغرب، و تونس كأطراف مغاربيّة، و كانت حوارات هذا التّجمّع اقتصاديّة أوّلا ثمّ في مؤتمر روما 1990/10/10 ناقش وزراء خارجيّة هذه الدّول مشاكل متنوّعة: سياسيّة، ثقافيّة...، و عقد بالجزائر مؤتمرا آخر عرف بتجمّع 5+5 حيث تمّ اقتراح إحداث ثمانية فرق عمل وزارية لوضع برنامج عمل و تعاون بين هذه الدّول.²

إذن و كما سبق ذكره، فهذا المشروع أساسا ومنذ بواره الأولى عام 1983، كانت أهدافه اقتصاديّة بالأساس ، ثمّ عرفت تطورا ملحوظا خاصة بعد مؤتمر روما 1990، حيث

(1)-لعمال محمد أمين، مرجع سابق، ص ص 137-139

(2)- غالية بن زيوش، الهجرة و التعاون الأورومتوسطي منذ منتصف السبعينات ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، فرع علاقات دولية، (جامعة الجزائر:كلية العلوم السياسية، 2005)، ص 65

أصبح البعد الثقافي أكثر أهمية حيث لاحظنا من خلال هذا المشروع مجموعة رهانات و تحديات ثم التأكيد عليها.¹

و للتأكيد فإنّ هذا الحوار لا يشكّل تحدياً لمشروع برشلونة الذي يعتبر المرجعية التي تحظى بالأفضلية لدى مختلف الأطراف، فحوار 5+5 يبقى إطاراً للحوار الخصوصي بين دول المغرب العربي و الجانب الاروبي الجنوبي.
ومن بين مبادئه في البعد الثقافي:

- معالجة قضايا الهجرة غير الشرعية و معالجة قضايا الانغلاق و ضرورة الوصول إلى النظرة الإنسانية و الاجتماعية و الثقافية في هذا المحور.
- مراعاة الوضع الديموغرافي في المنطقة المتوسطة و إرساء نظام جديد للهجرة المنظمة.
- تنسيق التعاون فيما يخص الهجرة العشوائية ومن خلال هذه المقاربة تتحوّل الهجرة إلى عامل ثراء حضاري و ثقافي متبادل و تشكّل دعامة هامة للتنمية في دول المغرب العربي.
- معالجة موضوع الإرهاب و أسبابه و العمل على التنسيق بين الدول المتوسطة لمحاربته، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أين أصبحت نظرة الغرب للعالم العربي نظرة عدا و كراهية.

- العمل على محاربة بما يسمى الجريمة المنظمة و إقامة شراكة تعاونية بين الصّفتين في جميع المجالات منها السياسية، الاقتصادية، الأمنية، ...

(1)- المنذر الرزقي، "حوار 5+5 دفع جهوي لمسار إقليمي"، من الموقع:

www.abhatoo.net.ma، تاريخ الإطلاع: 2016-06-01

-تبادل الثقافات بين الصّفتين و التّبادل المتعلّق بممثلي المجتمع المدني و السّلطات
الجهويّة و المحليّة .

-التّبادلات بين المؤسّسات.¹

• سياسة الجوار الاوروبية:

تمّ إطلاق سياسة الجوار الاوروبية عام 2003، و تمّ تطويرها بهدف تجنب نشوء خطّ تقسيم جديد بين الاتحاد الاوروبي الموسّع وجيرانه، و العمل بدلا من ذلك على تعزيز الاستقرار و الأمن و الرّفاه لجميع الأطراف المعنّيين².

تعمل سياسة الجوار الاوروبية على إقامة "حلقة من أصدقاء" خاصّة بعد توسّع الاتحاد الاوروبي الذي حدث عام 2004، و اعتمدت هذه السياسة الاوروبية للجوار مبادئ ووسائل عدّة منها: اعتماد المقاربة الثنائية في التّعامل والتّعاون، واعتماد التّقارير القطريّة....، و كذا اعتماد مراقبة عمليّة التّنفّذ لضمان حسن سير علاقاتها الجوارية.

و لقد زوّدت هته السياسة بأداة ماليّة جديدة عرفت بالجوار الاوروبي و أداة المشاركة و هي أداة جديدة ستحلّ محلّ برنامج ميذا في الدّول المشاركة في هذه السياسة بدءا من العام 2007.

(1)- جمال الشلبي، العرب و أوروبا رؤية سياسية معاصرة، (عمان: دار الفارس للنشر و التوزيع، 2000)، ص105.

(2)- سياسة الجوار الأوروبي، وثيقة تحضيرية للمنتدى المدني الأورومتوسطي، 21 أكتوبر 2006.

و لقد ناقشت الأطراف الواضحة لهذه السياسة مختلف السلات التي تمّ التأكيد عليها دائما في مثل هذه الاجتماعات، فإضافة إلى المحاور السياسية و الاقتصادية تمّ التأكيد على الجانب الاجتماعي و الثقافي كذلك و منها:

*الجانب المتعلق بالهجرة و تنقل الأفراد: تنصّ السياسة الاوروبية الجديدة للجوار على ضرورة الليونة في الإجراءات المتعلقة بمنح التأشيرة و التخفيف من العراقيل المرتبطة بالتنقّلات الشرعية للأفراد خاصة لأغراض تجارية، علمية و سياحية.

*العمل في إطار مقارنة شاملة تسمح بالتحكّم في التنقل و التعاون معا في محاربة الهجرة السرية و العمل على حسن التحكّم في الحدود.

تسهيل التبادلات التربوية و التكوينية، الثقافية و العلمية.

*تعزيز التعاون السياسي و جعل جمعية شركاء السياسة الاوروبية للجوار نظامية اكثر من اجل مبادرات الاتحاد الاوروبي.

*تعزيز الديمقراطية و حقوق الإنسان.

*تعزيز التفاهم المتبادل و الروابط الثقافية من خلال الحوار بين الحضارات.

لكنّ هذه المبادرة لم تلق ترحابا واسعا من الأطراف المدعومة للمشاركة فيه حتّى فيما يخصّ الدول التي لا تنتمي إلى المتوسط مثال ذلك روسيا، كما لم يلق هذا المشروع الترحيب من

طرف كلّ من الجزائر و مصر في قمةً لوكسمبورغ (ماي 2005) حيث رفضت هاتين الأخيرتين لما تريد اوروبا اقتراحه في ظلّ سياسة الجوار الاروبي.¹

• الاتحاد من اجل المتوسط:

عند انعقاد مؤتمر روما الثلاثي (فرنسا-اسبانيا-ايطاليا) يوم 20/12/2007، توجّ بنداء روما الذي دعا إلى قمةً متوسطيّة، كما أنّ الرئيس الفرنسي و منذ كان وزيرا للداخلية، كان من بين المنتقدين بشدةً لمشروع برشلونة.²

فكرة الاتحاد المتوسطي الذي صار يعرف بالاتحاد من اجل المتوسط لاحقا فرضت نفسها في اجتماع الاتحاد الاروبي ببروكسل 2008، رغم أنّها لم تكن مدرجة في جدول أعمال القمة حيث قدّمت فرنسا من خلال هذه القمة عرضا لبقية الدول الاروبية يرسم ملامح الاتحاد الجديد و الذي يهدف أساسا إلى:³

- تطوير تزويد الطاقة.

- تأميم الحزام الجنوبي للمتوسط و الذي يعتبر منطقة حساسة.

دعا الرئيس ساركوزي لهذا المؤتمر في أثناء حملته الانتخابية 2007/02/07، حيث جدّد الدّعوة للتعاون و الاتحاد المتوسطي خاصّة في زمان العولمة و بعد أن أصبح رئيسا أطلق الدّعوة لحملة كبيرة في بناء حضارة متوسطيّة، وهذا ما جاء في خطابه بطنجة يوم

(1)- محمد مطاوع، "أوروبا و المتوسط...من برشلونة إلى سياسة الجوار"، سياسية دولية، عدد 163، يناير 2006، ص 41.

(2)- عبد القادر رزيق المخادمي، الاتحاد من أجل المتوسط، الأبعاد و الآفاق، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009-2010)، ص 32.

(3)- عبد القادر رزيق المخادمي، مرجع سابق ذكره، ص 33.

2007/10/23، و قال بانّ الوقت حان لتنتقل من الحوار إلى السّياسة و تجاوز النقّاش إلى البناء. وركّز ساركوزي على البعد الاجتماعي و الثقافي و دوره في بناء هذا المشروع ومن بين النّقاط التي تطرّق إليها:

*تحدّث ساركوزي عن المتوسّط ببعده الاجتماعي و الثقافي والإنساني وارثه الرّوحي حيث قال: إدارة الظّهر إلى المتوسّط فإنّ اروبا و فرنسا ظنّتا أنّهما تديران ظهريهما للماضي بينما كانتا في الواقع تديران الظّهر لمستقبلهما" لأنّ مستقبل اروبا في الجنوب.

*كما تحدّث عن توقّف الطّفل اليوناني كرهه للطّفل التركي و توقّف الطّفل الفلسطيني عن كره الطّفل الإسرائيلي، إذن التأكيد هذا جاء بإسهاب عن القيم الإنسانيّة و الرّوحيّة التي تميّز المنطقة الارومتوسّطيّة.

اعتبر ساركوزي الثقافة و التّعليم و الصّحة و الرّأسمال البشري و أيضا العدالة و النّضال من اجل مكافحة عدم المساواة.

إذن هذه جملة من السّياسات التي تمّ الاتفاق عليها خلال الشّراكة بين طرفي المتوسّط و أهمّ المحاور التي ميّزتها هذه الاتّفاقيّات خاصّة المحور و البعد الثقافي الذي يشكّل أهميّة كبيرة خاصّة على مستوى الشّراكة الارومغربيّة.¹

(1)-سعيد مقدم،"من الإتحاد المتوسطي إلى الإتحاد من أجل المتوسط"،صوت الأحرار،عدد2008،23،ص12.

المطلب الثاني: الحركة الفرنكوفونية

لقد وعت فرنسا هذه الحقيقة وعملت بمقتضاها في غزوها وبغيها على دول المغرب العربي الإسلامي وغيره من المستعمرات الفرنسية، كما يحلو لهم تسميتها، وكلمة «الاستعمار» تحمل في ثناياها معنى الخير وإرادة الإعمار؛ وكأنما هذه الدول التي غزتها فرنسا وبغت عليها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين إنما كانت تعيش في ظلام دامس، وجعل مطبق، وفراغ ثقافي، وتخلّف حضاري كثيف، وإنما بغت فرنسا عليها بغية تحضيرها وتنقيفها ورفع التخلّف عنها؛ ويؤشر ذلك على احتقار فرنسا لثقافات وحضارات الشعوب المستعمرة والخط من قيمتها، ووسمها بالدونية، والتخلّف؛ في مقابل شعورها بالاستعلاء، والتفوق، والرغبة في نفي الحضارات الأخرى.¹

أ- نشأة الفرنكفونية:

يعتبر "أونيسيم ريكلوس" (Onesime Reclus) الجيولوجي الفرنسي أول من نحت مصطلح «الفرنكوفونية» وذلك في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، ثم أتى عليه حين من الدهر ظل خلاله مغموراً إلى أن ظهر من جديد على الساحة السياسية وذلك سنة 1962 على يد أشد الزعماء الأفارقة تحمساً للفكر الفرنكفوني وهو الرئيس السنغالي "ليوبولد سنغور"، غير أن الحركة الفرنكوفونية عرفت انطلاقها الحقيقية غداة استقلال الدول الإفريقية التي كانت تحت السيطرة الفرنسية؛ إذ ظهرت مع بداية الستينيات كثير من المنظمات الفرنسية الإفريقية الهادفة إلى تقوية العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الطرفين، وليس غريباً أن يعمل كثير من الزعماء السياسيين آنذاك مثل الرئيس التونسي "الحبيب

(1)- عبد الله الشارف، أثر الاستغراب في التربية والتعليم بالمغرب، (طيوان: منشورات نادي الكتاب لكلية الآداب، 2000)، ص49.

بورقيبة" والسنگالي "سنگور" والنيجيري "حماي ديوري" على الدعوة إلى الفرنكوفونية بمباركة خفية من وزارة الخارجية للدولة الفرنسية¹.

ويعتبر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الأب الروحي والمؤسس الحقيقي للفرانكوفونية؛ وقد تحدث بورقيبة عن ذلك مفتخراً، في معرض حديثه عن تاريخه ومسيرته الشخصية؛ فقال في لقاء صحفي له مع إحدى الصحف الفرنسية: «إن مستقبلنا مرتبط بمستقبل الغرب عموماً ومتضامن مع مستقبل فرنسا خاصة... ونحن نتجه اليوم من جديد إلى فرنسا. إنني أنا الذي تزعمت الحركة المنادية بالفرنكوفونية؛ فالرابطة اللغوية التي تجمع بين مختلف الأقطار الإفريقية أمتن من روابط المناخ أو الجغرافيا»، وقال في مقابلة أخرى له مع صحيفة ليفيغارو: «... إننا لا نستطيع الإعراض عن الغرب، إننا متضامنون مع الغرب بأكمله، متضامنون بصورة أخص مع فرنسا. وتدعيم الروابط مع فرنسا وبصورة أخص في ميدان الثقافة، وفكرة بعث رابطة للشعوب الفرنكوفونية تولدت هنا»².

هكذا يفخر بورقيبة بلغته الفرنسية وأساتذته الفرنسيين وثقافته الفرنسية وبحبه ووفائه لفرنسا الذي دفعه إلى رد الجميل بتزعم حركة الفرنكوفونية وتأسيس رابطة الشعوب الناطقة بالفرنسية.

وقد عرفت الفرنكوفونية تكيفات عدة في صورة: بعثات، وجمعيات، واتحادات، ومجالس عالمية، ومعاهد، وكليات، وجامعات، ومؤتمرات وقمم؛ توجت بإيجاد أمانة عامة للفرانكوفونية، وتعيين ناطق رسمي سياسي وممثل لها على الصعيد الدولي، وإنشاء الوكالة الفروكوفونية العامة.

ب- تطور الفرنكوفونية:

إن المتتبع للتطورات التي مرت بها الفرنكوفونية يستطيع أن يلمح بوضوح وجود طورين أساسيين للفرانكوفونية: يتمثل الطور الأول في «الاستعمار القديم»؛ بينما يمثل الطور الثاني «الاستعمار الحديث» في غمرة الصراع بين عمالقة العالم القديم والمتجدد، وبيان ذلك على النحو الآتي:

(1)- عبد الله الشارف، مرجع سابق ذكره، ص52.

(2)- إدريس الكتاني، ثمانون عاماً من الحرب الفرنكوفونية ضد الإسلام واللغة العربية، (المغرب: منشورات نادي الفكر

الإسلامي، ط1، 2000)، ص179.

1- طور الاستعمار القديم: لا شك في أن الفرنكوفونية إنما استهدفت تنحية اللغة العربية ومن ثم استبعاد الثقافة الأصلية للشعوب المستعمرة؛ لا بل استبعاد الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية لهذه الشعوب؛ ولا سيما أن أغلب الشعوب الإفريقية تدين بالإسلام وتتسبب إلى الحضارة الإسلامية؛ وذلك بهدف إحلال الفرنسية محلها وتحقيق الإلحاق الثقافي والحضاري، لا بل الإلحاق الجغرافي أيضاً كعزمهم السابق على إلحاق الجزائر بالقطر الفرنسي؛ وهذه بعض الشواهد:

- أرسل أول وأبرز المقيمين العامين، الجنرال ليوطي دوريته الشهرية إلى ضباط المخابرات ورؤساء المناطق العسكرية والمدنية المغربية، ومما جاء فيها: «ليس علينا أن نعلم العربية لمجموعات من الناس استغنوا عنها دائماً (في إشارة إلى البربر)، إن العربية عنصر أسلمة لكونها لغة القرآن؛ أما مصلحتنا فتفرض علينا أن نجعل البربر يتطورون خارج إطار الإسلام، ومن الوجهة اللسانية علينا أن ننزع إلى المرور مباشرة من البربرية إلى الفرنسية ولهذا نحتاج إلى عارفين بالبربرية، ويتوجب على ضباط مخابراتنا أن ينكبوا بعزم على دراسة اللهجات البربرية كما يلزم خلق مدارس فرنكو . بربرية حيث نعلم الفرنسية للبربر الشباب»¹.

- وقد عبر عن هذه السياسة نفسها المستشرق ديمونين بقوله: «إنه من الخطر بالفعل أن نسمح بتكون كتلة متراسة من السكان الأصليين تكون اللغة والمؤسسات فيها موحدة علينا أن نتبنى لحسابنا المقولة المتبعة سابقاً من طرف المخزن (الدولة المغربية): «فَرَّقْ تَسُدْ»، وإن وجود العنصر البربري له قوة نافعة مضادة للعنصر العربي يمكننا استغلاله أمام المخزن.

- ويقول بول مارتي في كتابه: «مغرب الغد» ص 338: «.. إن كل تعليم للعربية، وكل تدخل من الفقيه، وكل وجود إسلامي، سوف يتم إبعاده بكل قوة؛ وبذلك نجذب إلينا الأطفال الشلوح عن طريق مدرستنا وحدها، ونبعد، متعمدين، كل مرحلة من مراحل نشر الإسلام.

-وبخصوص الجزائر يقول دي روفيكو: «إني أنظر إلى نشر تعليمنا ولغتنا كأنجع وسيلة لجعل سيطرتنا في هذا القطر (الجزائر) تتقدم في إحلال الفرنسية تدريجياً محل العربية؛

(1)- إدريس الكتاني، مرجع سابق ذكره، ص 180.

فالفرنسية تقدر على الانتشار بين السكان خصوصاً إذا أقبل الجيل الجديد على مدارسنا أفواجاً أفواجاً.

2- طور الاستعمار الحديث والمتجدد:

ويغطي هذا الطور سياسة فرنسا تجاه الدول المستقلة الناطقة بالفرنسية، ويركز على سياسة فرنسا التعليمية تجاه شعوب هذه الدول، وسياسة التبادل والتعاون الثقافي بين فرنسا وبين مستعمراتها القديمة. والمتتبع لأحداث هذا الطور يلحظ وجود نمطين في التعامل مع هذه الدول في ضوء السياسة الفرنسية. يرجع النمط الأول إلى قرب عهدها بالحقبة الاستعمارية، ولا يعدو أن يكون امتداداً لسياستها في طور الاستعمار القديم؛ من حيث التركيز على فرنسة الشعوب المستقلة، وتنحية لغاتها الأصلية، وتعويضها باللسان الفرنسي، والسعي لإلحاقها حضارياً وثقافياً بالمشروع الحضاري الغربي؛ بينما يبرز النمط الثاني بعد انتهاء الحرب الباردة، وسقوط القطب الروسي، واتجاه أمريكا إلى الانفراد بقيادة العالم، والسطو على مقدراته الاقتصادية، وصهره في بوتقة ثقافة أحادية عولمية متأمركة؛ وفيه تخفف فرنسا من غلوئها تجاه فرنسة الشعوب المستقلة، وترضى وتكتفي بأقدار من الفرنسية تضمن لها استمرارية ولاء النخب الفرنكوفونية الحاكمة، وتحقق لها جملة من المصالح السياسية والاقتصادية والثقافية في هذه البلدان في غمرة الصراع على النفوذ ومواجهة العملاق الأنجلوفوني بقيادة أمريكا وبريطانيا.¹

أي مستقبل للفرانكفونية؟

يبدو أن الفرنكوفونية باتجاهيها الراديكالي والليبرالي، اللذين تم الحديث عنهما سابقاً في ثنايا هذا المقال آخذة في الانحدار والضعف، أما الفرنكوفونية كما يفهما الراديكاليون من أنصارها والذين يشدهم الماضي الاستعماري لفرنسا فقد تتبأ الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول بانحسارها حين سخر من فكرة إدماج الجزائر في فرنسا، قائلاً: «إن الجزائر الفرنسية خرافة سخيفة، ودعاة الإدماج لا يملكون أي شعور بالمسؤولية... وفي سبيل الخروج من (علبة الأفاعي) لا بد من قلب الأوضاع في الجزائر رأساً على عقب، ولا بد من محاولة مكافحة

(1)-إدرس كتاني، مرجع سابق ذكره، ص182.

«تصعلك الجزائر» لا يجوز أن تلهينا (والكلام للجنرال ديغول) الأساطير عن الحقائق، هل ذهبتم لرؤية المسلمين؟ هل نظرتهم إلى عمامتهم وجلابيبهم؟ ألا ترون أنهم ليسوا فرنسيين، وأن أولئك الذين ينادون بالإدماج لهم رؤوس عصافير حتى لو كانوا من العلماء؟ (تعريض بعالم انتروبولوجي ديغولي كبير متخصص في الحضارات، كان من غلاة المتطرفين الداعين لتذويب الشخصية الجزائرية في فرنسا).¹

حاولوا دمج الزيت في الخل، حركوا الإناء، فبعد لحظة يفترقان؛ فالعرب عرب، والفرنسيون فرنسيون، نحن أولاً وقبل كل شيء «شعب أوروبي من العرق الأبيض، ثقافتنا يونانية ولاتينية، وديانتنا مسيحية».

يمكن أن يتم دمج الأفراد إلى درجة معينة فقط؛ لكن لا يمكن دمج الشعوب بماضيها وتقاليدها وذكرياتها المشتركة عن المعارك التي انتصرت فيها أو انهزمت، وأبطالها. وهل تعتقد أن ذلك سيحصل بين العرب والأقدام السوداء (وصف أطلق على المستعمرين الفقراء الذين تقاطروا على شمال إفريقيا والجزائر بصفة خاصة خلال القرنين 19 و 20).

هل تعتقدون أن لديهم شعوراً بالانتماء إلى وطن واحد؟ وأنهم قادرون على تجاوز كافة الاختلافات العرقية والطبقية والدينية؟ وهل تؤمنون بأن لديهم إرادة في عيش مشترك؟ الواقع أن الإدماج هو دعاية سمجة، وملهاة سخيفة يخطئ من يتصور أنهم سيخدعون الجزائريين بها.²

كان هذا عن الفرنكوفونية كما يراها الراديكاليون؛ أما الفرنكوفونية كما يفهمها الليبراليون الذين ينادون بالتخلص من الرؤية التقليدية للفرانكفونية فهي كذلك آخذة في الذبول والزوال وشواهد ذلك كثيرة منها:

1 - سيطرة أمريكا على اقتصاديات العالم، وتحكم الدولار في بورصات العالم أجمع بما في ذلك تلك التابعة للدول الناطقة باللغة الفرنسية الحصن المنيع للثقافة الفرنسية.

(1)-عبد الله الشارف، مرجع سابق ذكره، ص55.

(2)-إدريس كتاني، مرجع سابق ذكره، ص186.

2 - احتلال اللغة الإنجليزية موقع الصدارة في مجالات التكنولوجيا الحديثة والبحث العلمي بدون منافس «فعدد الوثائق المتوفرة في شبكة الإنترنت باللغة الإنجليزية تصل إلى حوالي مليار ونصف مليار وثيقة؛ في حين أن الوثائق الفرنسية لا تصل إلى 0.1% من هذا الرقم. و أكثر من 91% من خبراء الأبحاث الفرنسية في المركز الوطني للأبحاث الاجتماعية ينشرون أبحاثهم باللغة الإنجليزية».

بل إن عدد المتكلمين باللغة الفرنسية لا يزيد عن 2.5% من سكان العالم وهو ما وضعها في المرتبة التاسعة من حيث الانتشار على الصعيد العلمي.

3 - لم تعد اللغة الفرنسية الجسر الأفضل للتواصل بين رجال الأعمال في الأسواق العالمية. يقول الكاتب التونسي رشيد خشانة بجريدة الحياة بتاريخ 1997/11/22م: واعتبر رجال أعمال مغربيون كانوا يعتمدون على اللغة الفرنسية في أعمالهم واتصالاتهم أنها (أي اللغة الفرنسية) لم تعد الجسر الأفضل لمخاطبة نظرائهم في البلدان والقارات الأخرى - خصوصاً أننا نسعى لإقامة علاقات مع الأسواق الآسيوية التي ستشكل قطب الرchy في الاقتصاد الدولي مطلع القرن المقبل.¹

أي مصلحة لدول المغرب العربي في التشبث بالفرنكوفونية؟

أمام هذا الانحسار المريع للفرانكوفونية، وأمام هذا الزحف الهائل للغة الإنجليزية وما تحمله معها من بشائر للمنظومة الإنجلوفونية متمثلة أساساً في أمريكا وبريطانيا؛ خاصة بعد انخراط ميزان المعادلة الدولية لصالح أميركا بسقوط القطب الروسي وانتهاء الحرب الباردة، وتزعّم أميركا لنظام العولمة الجديد. أقول: لم يعد هناك أي مسوّغ للدول المغربية للتشبث بالفرنكوفونية، والدفاع عنها، وتبنيها على صورتها التقليدية المعروفة. إن هذا التحول في ميزان المعادلة الدولية ليلقي بظلاله، بدون شك، على نوع وطبيعة العلاقات الخارجية التي يمكن أن تتحقق في ضوءها مصالح الدول المغربية. وإنها لفرصة سانحة أمام هذه الدول

(1)-عبد الله الشارف،مرجع سابق ذكره،ص56.

للتخلص من الهيمنة الفرنسية ولو جزئياً، في اتجاه تحقيق بعض الاستقلال عنها . إن كانت تملك قرارها . لتدور بعلاقاتها الخارجية: السياسية والاقتصادية مع دوران مصالحها الحيوية والوطنية.¹

لم يعد هناك أي مسوّغ ولا أي مصلحة في الاستمرار في اعتماد سياسة التعليم المزدوج على الإطلاق، وينبغي وضع حد لسياسة التذليل، والتبعية، والإلحاق الثقافي والحضاري هذه. ولم يعد هناك أي حجة لكي تحافظ اللغة الفرنسية على هذه المكانة المرموقة في المناهج التعليمية بالدول المغاربية؛ في الوقت الذي تحتل فيه المرتبة التاسعة بين اللغات الأجنبية على الصعيد العالمي؛ مقارنة باللغة الإنجليزية التي تحتل موقع الصدارة من حيث عدد المتكلمين بها، ومن حيث عدد البحوث العلمية التي تنشر بها. لقد آن الأوان لمراجعة هذه السياسة التعليمية؛ بحيث توضع اللغة الفرنسية في موضعها الذي يليق بها بين اللغات الحية، لا أكثر ولا أقل، لتفسح المجال واسعاً أمام اللغة الأم لتحتل محلها الطبيعي في مرحلة التعليم الأساسي من دون منافس. والحقيقة أن الشعوب المغاربية، بل الشعوب العربية والإسلامية، جميعها، تشهد اليوم أوبة صادقة إلى ثوابتها التاريخية والحضارية ممثلة في: اللغة، والدين، والتاريخ؛ بما لا يدع مجالاً لحكامها للسير بها في الاتجاه المعاكس، لولا أن النخب العلمانية المتفرنسة، والمتحكمة في مقدرات الدولة استطاعت بما تتوفر عليه من نفوذ وسلطة أن تحمي سياسة ازدواجية التعليم، وأن تحفظ لفرنسا دور الهيمنة، ومكانة الامتياز في الدول المغاربية. لقد أصبح تعريب التعليم، والكف عن سياسة ازدواجية اللغة في مناهج التعليم مطلباً لا مناص منه.²

ومن الأفكار المغرية التي يروجها أنصار الفرنكوفونية من المراقبين والصحافيين الفرنسيين والكنديين أن تتحول المنظمة الفرنكوفونية إلى مجموعة من الدول تجمع بينها مصلحة

¹ R.Jaulin, la decivilisation politique et pratique de l'ethnocide (bruxelles: edition complexe , 1974), p 65

(2)-إسلام شندي، الحركة الفرنكوفونية: <http://www.islamweb.net/html/1001/capturel.htm#4> ، تاريخ الإطلاع: 2016-09-05

مشتركة تتمثل في الدفاع عن الاستثناء الثقافي بما يعنيه من تنوع ثقافي، وتعددية لغوية في مواجهة الاجتياح الإنجلوفوني لحفظ مكانة اللغة الفرنسية كلغة عالمية؛ ولبناء مجتمع عالمي لا يقوم على التماثل الثقافي الذي تفرضه العولمة الأمريكية. وعلى الرغم من بريق هذه الفكرة وإغراءاتها ببناء تكتل دولي في مواجهة التماثل الثقافي الذي يدعو إليه النظام العالمي الجديد بقيادة أميركا؛ والذي يعني في الحقيقة هيمنة الثقافة الأمريكية ورفعها إلى مرتبة العالمية والأممية. على الرغم من وجاهة هذه الفكرة، إلا أنها في الحقيقة تصب في مصلحة فرنسا، وتستصحب في خفاياها هيمنة فرنسية على هذه المجموعة الفرنكوفونية لتستقوي بها على التكتل الإنجلوفوني. وليس من العسير على المرء أن يكتشف أن التكتل الحقيقي الذي تنتمي إليه فرنسا هو الاتحاد الأوروبي، كما أن التكتل المناسب لدول المغرب العربي هو التكتل العربي الإسلامي لا الكتلة الفرنكوفونية بزعامة فرنسا.

لقد دفع الظلم والصلف الأمريكي دول العالم إلى التوقيع في تكتلات متعددة على أساس الهوية الثقافية، والاقتصاد، والجغرافيا؛ في محاولة لتعديل ميزان القوى العالمي المائل حالياً لصالح أميركا، ولمواجهة الصلف والحيث الأمريكي. ولا مناص لدول العالم إذا ما رامت أن تبني حضارة إنسانية ذات صبغة أممية عولمية من أن تعترف بتنوع الثقافات، وتعدد الهويات الدينية واللغوية لشعوب العالم، وأن تفتح باب الحوار بين الحضارات على مصراعية ليدلي كل منها بعطاءاته المتنوعة، في اتجاه بناء حضارة عالمية تتكامل فيها العطاءات بشتى أنواعها الثقافية والحضارية، والروحية والمادية.

إن العولمة القسرية التي تقودها أميركا ويشاركها فيها التجمع الغربي بمعنى من المعاني لا يمكن أن تقود إلى حضارة إنسانية ينعم فيها بنو البشر بالعدل والسلام الدائمين، إن عولمة من هذا القبيل تقوم على القوة، والقهر، والاضطهاد، والقمع الدموي، والقمع المعنوي بما تروجه من أكاذيب وأغاليط وخدع؛ لا يمكن أن تقود العالم إلى شاطئ الأمان. إن الطريق الوحيد لبناء حضارة إنسانية عالمية يمر بالضرورة عبر الحوار الفكري متسلحاً بقوة المنطق وحجج العقل لا قوة الساعد وصدأ الحديد.¹

(1)- إدريس كتاني، مرجع سابق ذكره، ص188.

المطلب الثالث: مدى تأثير الحركة الفرونكوفونية على العلاقات

الأورومغربية

أضحت « الفرونكوفونية » حركة عالمية لها أبعادها الفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، وتهدف إلى نشر النموذج الفرنسي ليكون لونا منافساً في الفكر الإنساني والثقافية العالمية ، فإذا نجحت الحركة في تحقيق هذا الهدف ، فإن بعض ما تتطلع إليه الدول المنضوية تحت هذه المظلة قد يتحقق في المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية ، وتبقى فرنسا الدولة الاستعمارية العتيدة تمثل البوصلة التي توجه هذا التكتل الذي يضم في عضويته 51 دولة ، وعددها في ازدياد مضطرد ، ومعظمها من الدول التي استعمرتها فرنسا وتركت أثراً حاسماً في ثقافة شعوبها وألسنتها .

ولقد دأبت فكرة « الفرونكوفونية » مخيلة الساسة والمثقفين الفرنسيين ، وبُذلت محاولات سياسية وثقافية متواصلة لإبراز صورة لها في الواقع ، وأسفر تراكم الجهود عن بلورة هذه الحركة في صورتها التنظيمية في 20/3/1970م ، واعتُبر هذا التاريخ « اليوم العالمي للفرونكوفونية » ، وبمرور الأيام تطورت الهياكل التنظيمية ، ومن أبرزها :¹

1- القمة الفرونكوفونية : تجتمع مرة كل عامين في عاصمة دولة عضو ، وتضم

رؤساء الدول الأعضاء في المنظمة .

2- مؤتمر وزراء الخارجية الأعضاء .

3- الأمانة العامة : وتسهر على تنفيذ القرارات والتوصيات الصادرة عن الجهات

المسؤولة ، وقد تم إحداث منصب الأمين العام سنة 1997م في مؤتمر قمة هانوي العاصمة

الفيتنامية ، وصلاحياته تنفيذية وتمثيلية .

(1)-صلاح الدين إبراهيم، "الفرونكوفونية و هموم العرب"، مجلة الرائد، عدد 2002، 239، ص1.

وأبرز الدول العربية التي تفخر بعضويتها في الفرنكوفونية : "المغرب وتونس ومصر ولبنان" والذي تتعدّد القمة التاسعة في عاصمته بيروت عند كتابة هذه السطور ودعيت الجزائر إلى المشاركة بصفة مراقب ، وما يزال كُهان الفرنكوفونية يتطلعون إلى عضوية الجزائر في المنظمة ، ويتلهف التيار الجزائري الفرنكوفوني إلى تجديد الارتباط الوثيق بالثقافة الفرنسية ، لأنّ فصائل هذا التيار يرون أنّ التعريب الذي تبنته الجزائر بعد استقلالها عن فرنسا ، قد أفرز حضوراً قوياً للفكرة الإسلامية في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وأنّ الصراع المحتدم منذ سنوات عبارة عن صورة من صور المواجهة التناقضية بين الثقافتين : « الإسلامية » و « الفرنكوفونية » ، ويرون أيضاً أنه لن يخرج الجزائر من أزمتها إلا العودة إلى أحضان الثقافة الفرنسية وإقصاء الثقافة العربية الإسلامية ، ألم يتواصى المبشرون بقولهم : « إن كثيراً من المسلمين قد زُرع اعتقادهم حين تعلموا اللغة الإنكليزية » ؟! ، أي : حين صارت الإنكليزية لغة المعرفة والثقافة.

إنّ الفرنكوفونية ليست مؤسسة اقتصادية أو تحالفاً سياسياً أهدافه محدودة فحسب ، بل هي حركة ثقافية فكرية تسعى إلى هيمنة اللسان الفرنسي والثقافة الفرنسية بكل تجلياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية .. ، وتهدف إلى تكوين محور ينافس « الكومونويلث البريطاني » والتحالف « الانجلو-أمريكاني » ، وهذه الحقائق لا تغيب عن الدول الأعضاء في منظمة الفرنكوفونية ، ولكن كل عضو يرى بمقاييسه أن منافع العضوية أكبر من آثامها. ويأتي انعقاد القمة التاسعة في بيروت يوم 2002/10/18م - وهي قمة مؤجلة من العام الماضي بسبب زلزال 2001/9/11م في أمريكا - في أجواء إقليمية وعالمية ملتهبة ، ويهمنا هنا أن نشير إلى « مأساة فلسطين » و « مشكلة العراق » و « أزمة المياه » التي أثارها الكيان العنصري الاستعماري مع لبنان .

فماذا قال أصحاب القرار في منظمة الفرنكوفونية ¹

(1)-صلاح الدين بن إبراهيم، مرجع سابق ذكره، ص2.

- لقد أبدوا أسفهم على استمرار حلقة العنف في الأراضي الفلسطينية ، ودعوا إلى التهدئة وبدء المفاوضات السياسية ، ونادوا بتخفيف معاناة الشعب الفلسطيني ، مؤكدين أن قرارات الشرعية الدولية هي إطار الحل الصحيح .
- وقالوا إنهم يؤيدون نزع أسلحة الدمار الشامل من العراق ، وأن شن الحرب لنزعها ينبغي أن يكون آخر المطاف ، أي لا يُستبعد الحل العسكري ، وأنه لا يصح أن تتفرد دولة بمهاجمة العراق ، بل ينبغي أن يتم ذلك عن طريق المجتمع الدولي ، أي « مجلس الأمن »
- ودعوا إلى حل مشكلة المياه وفق المعايير الدولية بعيداً عن لغة السلاح ، وشجعوا على « الحل الأممي » محذرين من الحلول الخلفية .
- فهل قال المتحدثون وأصحاب القرار العربي في قمة بيروت غير هذا الذي قاله أصحاب القرار الفرنكفوني ، ويأتي في مقدمتهم الرئيس شيراك ؟¹
- الحقيقة هي أننا لا ننتظر من منظمة الفرنكوفونية أن يكونوا أكثر عروبة من النظام العربي ، ندرك أن الأقطار العربية المنضوية تحت علم الفرنكوفونية لا تأمل من زعيمة الفرنكوفونية فرنسا أن تضحي بمصالحها من أجل عيون العرب ، ولكننا نريد من النظام العربي أن يكون واضحاً في مواقفه من قضايا الأمة ، وصادقاً في سلوكه تجاهها ، لأن ما قالته الفرنكوفونية مليئاً بالألغام في المواقف ، وممزقاً غير متماسك من الناحية العدلية والمصادقية الإنسانية .. وما قالوه يقوله الحكام العرب ، وإن تباينت المعاني ، وهو مرفوض لأنه موقف منهزم جبان .²
- إن الموقف العربي من مأساة فلسطين والعراق وقضايا الأمة هو الهزيل المهلهل ، لذلك جاء موقف الفرنكوفونية مهلهلاً ، مع فارق بسيط وهو : إن العرب لا يتبعون كلامهم - على الرغم من إشكالاته بعمل إيجابي ، أما فرنسا وقوى سياسية فرنسية أخرى فإنها تتحرك

(1)-صلاح الدين بن إبراهيم،مرجع سابق ذكره،ص ص 4-5.

(2)-مرجع نفسه، ص6.

بفاعلية لتحقيق مصالحها ، وقد تكون مصالحها الحقيقية بعيدة عن كلامها الذي رغب العرب في سماعه ، وهي لا تشعر بأي حرج في تناقض كلامها ومواقفها ، لأنها تعلم أن العرب يحبون سماع كلام يرضيهم فقالته في حدود ما يرغبون في سماعه.

المبحث الثالث: مشاكل و حلول و سناريوهات العلاقات الأورومغربية

المطلب الأول: مشاكل العلاقات الأورومغربية

إن التعاون السائد بين الدول الأوروبية و الأقطار المغربية لا ينفي وجود مشاكل بينهما، فالبرغم من التجانس الموجود بينهما من حيث القرب الجغرافي، و الثقافة المشتركة، و سهولة الإتصال إلا ننا سوف نتطرق إلى المشاكل من خلال المواضيع، و مشاكل التعاون في إطار عام، و يقصد بالمشاكل من خلال المواضيع أن هناك توجهها قائما محددا للعلاقات الأورومغربية، و نجد هذه المشاكل في عدة مجالات منها:¹

أ- مشكلة الهجرة الغير الشرعية: تسجل الهجرة غير الشرعية من الأقطار المغربية نحو أوروبا سنويا مئات الوفایات لمهاجرين عبر البحر من المغرب إلى إسبانيا، و من الجزائر نحو فرنسا، و من تونس نحو إيطاليا، و كما عرفت تطورا كبيرا نتيجة للثورات التي عرفتھا بعض الأقطار المغربية التي تعاني هشاشة أمنية و هذا يعني "الربيع العربي" الذي جعل

(1)-عبد اللطيف بوروي،مرجع سابق ذكره،ص8.

الكثير من اللاجئين يغادرون وطنهم من أجل البحث عن الإستقرار مثل ما جرى في ليبيا و تونس و أخيرا سوريا.¹

ب- المشاكل الإقتصادية: تهدف الشراكة إلى خلق منطقة تبادل حرّ لمصلحة الدول الأوروبية، حيث تعتبر الإقطار المغربية سوقا لها رغم أن هناك خسارة لحقوق الرسوم الجمركية بالسبة إلى الأقطار المغربية، فهذه الأخيرة هي عبارة عن أقطار زراعية وطاقوية، على عكس الدول الأوروبية التي هي عبارة عن دول صناعية.² فالفجوة موجودة دائما بين الشمال المصنع و الجنوب المتخلف، و العلاقة مستمرة بين طرف قوي و طرف ضعيف.

ج- المشاكل السياسية: لا يساعد إختلاف المؤسسات المكونة للأنظمة السياسية للأقطار المغربية على الشراكة مع الدول الأوروبية، بإعتبار أن طبيعة العلاقة هي علاقة إتحاد مع أقطار، فعدم إستقرار الأوضاع الداخلية في الأقطار المغربية يؤثر في علاقتها الخارجية خاصة مع دول الجوار و المتمثل في الإتحاد الأوروبي كقوة عيارية كبرى³، حيث أن هناك من مبادئ سيلستها الخارجية المشتركة مبدأ الشرطية في التعامل مع الدول التي تنتهك فيه الحريات العامة و من ثم لا تعاون من دون إصلاحات سياسية.

- إن معطيات وواقع هذه العلاقات الأورومغربية توجب علينا التعامل معها وفق المنظور السلبي، لذا فقد عمدنا إلى إبراز المشاكل التي تضمنتها.

(1)-عبد اللطيف بوروي، مرجع سابق ذكره، ص9.

(2)-سلى محمد مرسي ، الشراكة الأورومغربية سبل تفعيلها، "الندوة العلمية الدولية حول التكامل السياسي العربي كآلية لتحسين الشراكة العربية الأوروبية" ، (سطيف: جامعة فرحات عباس، 2004)، ص ص 5-7.

³Jan manners, « normative power europe : a introduction in tems », **journal of common market studies**, vol .40,no2,2002,p238.

- أما مشاكل التعاون عامة، فهي مرتبطة بتكريس الهيمنة و التبعية و السيطرة الأوروبية على الأقطار المغربية في ظل فشل الإصلاحات الداخلية.

د- مشاكل الجوار في ما بين أقطار المغرب العربي الثلاثة: تفسر هذه المشاكل في ظل علاقة سلبية في التعاملات البينية بين الأقطار المغربية الثلاثة و التي لا تتعدى 6 بالمائة من تعاملاتها الخارجية، حيث يرى أنكل قطر القطر المجاور له هو السبب في مشاكله و كل طرف يعلق مشاكله على الطرف الآخر، فالخلافات الحدودية و المشاكل السياسية الداخلية في كل قطر عملت على جعل الأقطار المغربية عاجزة عن إحياء دور المؤسسات التكاملية و عن بلورة إستراتيجية موحدة تجاه الإتحاد الأوروبي.

هـ- مشاكل الأقطار المغربية مع الإتحاد الأوروبي: لقد إقتصرت مجال التعاون على الميدان الإقتصادي و التجاري، و خصوصا في ميدان الطاقة، أما المساعدات الأوروبية المقدمة إلى الأقطار المغربية فهي مشروطة بضرورة إنتقال هذه الأخيرة نحو الإصلاح السياسي و التداول على السلطة (التحول الديمقراطي) و هذا ربما يتعارض مع مصالح النخب الحاكمة في هذه الأقطار إذ انه لا يخدمها.¹

و- مشاكل الإتحاد الأوروبي مع الأقطار المغربية (مقاربة أمنية): ترى الدول الأوروبية أن المنطقة المغربية هي مصدر تهديد (الهجرة غير الشرعية، الإرهاب، و المخدرات، و الجريمة المنظمة)، و قد نجح الإتحاد الأوروبي بالعمل على إنضمام دول من شمال أوروبا

(1)-عبد اللطيف بوروي، مرجع سابق ذكره، ص13.

في توجهاته نحو الشراكة من دون فرض العضوية مع بعض الدول من شرق أوروبا¹،
إستثناء من سياسات الجوار الأوروبية تجاه الجهة الجنوبية من بحر المتوسط و خاصة
الأقطار المغربية الثلاثة و هي كل من الجزائر،تونس و المغرب،حيث يؤكد في تعامله
معهما قطرا بقطر، و أنه مستعد للتعاون في ظل علاقة مشروطة بالمزيدمن الإصلاحات
السياسية و التحول أكثر نحو الديمقراطية و كأساس في شراكة فعلية ناجحة، لكن هل إذا
ما نجحت هذه الأقطار الثلاثة بالوصول إلى تداول ديمقراطي فعلي يمكنها أن تفكر في
شراكة و إندماج في عضوية مع الإتحاد الأوروبي في ظل القرب الجغرافي؟

المطلب الثاني: الحلول للمشاكل العلاقات الأورومغربية

تقوم مختلف الحلول المقترحة على تعظيم البدائل لصانع القرار السياسي في أقطار المغرب
العربي ، أو حتى في دول الإتحاد الأوروبي و هذا من خلال تشاركية وهذا عن طريق:

- محاولة إيجاد شريك أفضل عوض التركيز على الإتحاد الأوروبي إن إستمر في نظرتة
السلبية إلى المنطقة.
- البحث عن سبيل تحقيق التنمية المستدامة بمكافحة الفساد و تحقيق الحكم الرشيد كغاية.
- الإصلاح السياسي و العمل على تفعيل العملية الديمقراطية بإشراك الفواعل الحكومية و
غير الحكومية في صناعة القرار الرسمي في المنطقة المغربية من زاوية التداول
الديمقراطي.

(1)-عبد اللطيف بوروي،مرجع سابق ذكره،ص 10.

- الإهتمام بالقطاع الزراعي من أجل تحقيق الإكتفاء الذاتي و العمل على التطور التكنولوجي.
- تقديم الدول الأوروبية حلولاً فعلية بتغيير نظرتها السلبية إلى الأقطار المغربية، على أساس أنه مصدر تهديد و خطر ، إلى نظرة إيجابية بإعتبارها شريكا إستراتيجيا في ظل حالة الإستقرار التي تعيشها إقتصاديا و سياسيا.¹
- تقديم الأقطار المغربية حلولاً جدية وواقعية و ليس مجرد حلول نظرية، كأن:
 - تعمل على إستخدام مصادر الطاقة كورقة رابحة لتساوم الدول الأوروبية على المخصصات المالية لتأهيل الإقتصاديات المغربية.
 - تتعامل مع الطرف كوحدة إقتصادية متكاملة ، الأمر الذي يؤهلها للحصول على مكاسب أكبر.
 - تحاول التركيز في إطار هذا التعاون على المشروعات التي تقوم بتطوير الصناعات الحديثة للإستفادة من التجارب الأوروبية.²
- و في الأخير يمكن القول أن طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين تصورات الاتحاد الأوروبي و الأقطار المغربية الثلاثة متناقضة ، فأوروبا تسترط لإي تعامل مع هذه الأقطار إصلاحات سياسية و ثقافية و إقتصادية...، و في المقابل لا تعمل على تقديم حوافز لتحقيق ذلك لأنها مشروطة، أما الأقطار المغربية الثلاثة فتعلم أن الشروط

(1)-عبد اللطيف بوروبي،مرجع سابق ذكره،ص11.

(2)-المرجع نفسه، ص12.

الأوروبية ليست حافزا للوصول إلى تحقيق تلك الإصلاحات بل تعتبرها عائقا أمام تحقيق أي تقدم لتحقيق هذه الإصلاحات المرجوة

المطلب الثالث: سناريوهات العلاقات الأورومغربية

في هذا الجزء من البحث نتناول أهم السيناريوهات المحتملة للعلاقات الأورومغربية، باعتبار أن مجال الدراسة لا يقتصر فقط على ما هو موجود في الواقع المعاش، إنما لابد من التطلع لآفاق المستقبل وما يمكن أن يحدث مستقبلا و هذا من أجل تكوين القدرة على التنبؤ بأهم التحديات و الرهانات التي تواجهها المنطقة ككل. و من هذا المنطلق من الممكن ولويشكل نسبي الإستجابة لمختلف المستجدات و هذا في حد ذاته عنصر إيجابي للعلاقة الأورومغربية.¹

غير أن هذه العملية لا تبدو سهلة كما يتصورها البعض ففي ظل الحركية الكبيرة التي تعرفها المنطقة المتوسطية عموما و كذا تداخلات سلوكيات دول الشمال و الجنوب و سير مشروع الاندماج في الضفتين نجد أنفسنا أمام تعدد و تعقد مشاهد المستقبل و خاصة في مرحلة إنتقالية و أهم ما تميزت به:

- المؤقتية: فعده المرحلة لا تتميز بالطول الزمني.

- التسارع: بمعنى تعاقب و تطور الأحداث بسرعة كبيرة و في وقت قصير.

- الإضطراب: و هذا بسبب إحتمام المواجهة بين القوى المدافعة عن الأوضاع بإختلافها سواء الوضع القائم أو قوى التغيير.²

لذلك فإننا لن نحاول بالأساس التنبؤ بمستقبل العلاقة الأورومغربية بقدر ما نحاول عرض ثلاث تصورات مختلفة لمسار العلاقة وهذا بالإعتماد على ثلاث سيناريونات:

(1)-فيصل سمارة، مرجع سابق ذكره، ص160.

(2)- وليد عبد الحي، تحول المسلمات في نظرية العلاقات الدولية، (الجزائر: مؤسسة الشروق للإعلام و النشر)، ص99.

1- سناريو الفشل: (تشاؤمي)

هذا السيناريو مبني على تعطل المسار الأورومغاربي و إنهياره حيث تعد النتائج الثقافية من أكثر النتائج السلبية وطأة على المجتمعات و أفراد هذه العملية التشاركية، و هذراجع لعدم وجود صفة التواصل و التقارب منذ البداية، و ما تبعها من تعميق في التغيرات السلبية الحاصلة. و هنا تصدق فرضية صامويل هنتغنتون و التي تؤكد على أننا في اتجاه صراع حضاري و فكري، بحيث أن المشاعر العدائية و رفض الآخر في تنامي مستمر و تزداد مشاكل أخرى على غرار ظاهرة الإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام كمقتررب جديد يدل على بروز تهديد جديد لأمن و إستقرار المجتمعات الأوروبية و الكل يلاحظ هذه التخوفات و ما يتبعه من فرض القيود على الحريات الدينية للمسلمين في الأراضي الأوروبية و هذه المعوقاتمن شأنها جعل أي نوع من الشراكة أمرا مستحيلا لا يمكن تطبيقه أبدا.

وهناك نقطة أخرى من شأنها أن تعرقل كثيرا التواصل الأورومغاربي و هي بروز أفكار إسلامية متشددة و معادية أساسا للفكر الغربي عموما و الأوروبي خاصة، و قد لاحظنا صعود هذه التيارات إلى شدة الحكم في عدة دول جنوبية و لعل خير مثال على ذلك ما حدث في الجزائر من خلال تجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحلة و التي جاء بروزها بمثابة رد فعل على النظام القائم آنذاك، و من أهم ما ميز الحركات الإسلامية المتطرفة هو الإنغلاق و رفض الآخر و بالتالي القطيعة النهائية مع دول الإتحاد الأوروبي و تحويل هذه العلاقة إلى شراكة عربية- عربية وكذا علاقة بين الدول الإسلامية¹.

وهناك إفتراض آخر من شأنه أن يساهم بإخفاق ذريع لمسار التكامل في المنطقة ككل، و يتمثل هذا الإفتراض في ترك العلاقات الثنائية الأكثر تعقيدا خارج المجال التكاملي و نذكر على سبيل المثال الخلاف الجزائري المغربي حول قضية الصحراء الغربية أو الخلاف بين فرنسا والجزائر و الذي أسهم كثيرا في عدم القدرة على توقيع إتفاقية صداقة بين الطرفين الفرنسي و الجزائري، و هناك أيضا الخلاف المغربي الإسباني أو حتى بين الأطراف الأوروبية فيما بينها، كلها مشاكل هي آخذة في التفاقم و التعقيد أكثر، و بناءا على هذا

(1)-لطفي عامر ، "البعد السياسي و الأمني في الشراكة الأورومتوسطية"، المستقبل العربي، عدد 340، جوان 2007، ص 66

السيناريو فلا يمكن لأي سياسة مشتركة أن تتقدم في مجال التعاون، فلا مجموعة 5+5 و لا مسار برشلونة و لا الاتحاد الأوروبي قادر على إحداث أي حركية على هذا المستوى. كما أن إتفاقية شنغن شكلت عامل عزل و غلق للقلعة الأوروبية و كأنها فضاء مصن و محيط ببرابرة قادمين من الجنوب و هنا يقع التساؤل عن جدوى الحديث عن الحريات الأربعة و هي حرية تنقل السلع، و حرية تنقل الخدمات، و حرية تنقل رؤؤس الأموال و تجاهل العنصر الأخير و هو حرية تنقل الأشخاص و هذا ما يزيد من صعوبة التكلم عن أية علاقة أورو مغربية.

إذن و حسب هذه النظرة فأنا أمام إستحالة لأي نوع من التعاون أو الشراكة بين طرفي المتوسط، فالجزء الشمالي المتمثل في دول الاتحاد الأوروبي دائما ما يحاولون الإستفادة من دول الجنوب وفق نظرية التشاركية الوقائية، هذه النظرية التي تعتبرها الدول الجنوبية إفراطا في الأنانية من طرف هذه الدول. كما أن الدول الأوروبية كثيرا ما تنتقد الدول المغربية خاصة فيما يتعلق القضايا الأمنية و الثقافية.

2- سيناريو النجاح (تفاوضي):

يحمل هذا السيناريو مجموعة من التوقعات الإيجابية وهو أكثر تفاؤلا ، حيث يتوقع حدوث تطورات إيجابية في مجال الشراكة، كما أن هذا التفاؤل يستند إلى عدة معطيات قد تمثل مؤشرات تطور فعلي في مجال التعاون الإنساني بالخصوص من الدول الشريكة لا سيما الطرف الأوروبي و نظيره المغربي، و لا يقتصر هذا التفاؤل على المجالات الثقافية و الإجتماعية فقط بل يشمل مجالات أخرى منها اقتصادية ، السياسية..¹

فإذا تطرقنا إلى مختلف المعاهدات التي كانت تجمع طرفي التعاون نجد أن هناك العديد من النقاط الإيجابية و التي تبعث على التفاؤل، ففي مسار برشلونة مثلا هناك إجماع بين هذه الأطراف على ضرورة تطوير العمل الإنساني بصفة عامة من خلال دعم برامج التنمية البشرية و كذا الإهتمام بالتنمية الإجتماعية و كذا برامج دعم حقوق الإنسان، ودمقرطة

(1)-فيصل سمارة،مرجع سابق ذكره،ص163.

الأنظمة السياسية في المنطقة المتوسطية عامة و المغربية خاصة و هذا لا يتجلى إلا من خلال وضع مختلف الإمكانيات المتاحة وكذا تفعيل الآليات اللازمة كتشجيع العمل النقابي و الحزبي وكذا تشجيع البحث العلمي وغيرها من الأمور الفادرة على تحقيق الأهداف المرجوة.¹

و على غرار هذا المسار الذي يعتبر إنطلاقة من أجل تحسين التعاون الأورومغربي هناكم هائل من الإتفاقيات و التي تصب كلها في نفس السياق و قد تم التطرق إليها في بحثنا هذا إذن فهذا السيناريو قائم على أساس مقارنة شاملة على أساس الإعتماد المتبادل و التعاون في شتى المجالات (الإقتصادية- السياسية- الثقافية) وهو الإختيار الوحيد إذا ما أرادت هذه الأطراف التقدم نحو الإتجاه الصحيح للتعاون²، و لنجاح الشراكة الأورومتوسطية و تجسيدها الفعلي على أرض الواقع لابد من تلبية المصالح و الطموحات المشروعة للطرفين و هذا عن طريق الإسترشاد ببعض المبادئ الحاكمة و التي لابد من الإلتزام بها. حيث يقتضي الأمر على الجانبين وضع التعاون الجماعي و المصلحة العامة و المتبادلة من خلال الإستناد على: المساواة- العدالة- التكافؤ بين الضفتين، مع الإحترام المتبادل للخصوصية الثقافية و الشخصية و مختلف القيم الحضارية و عادات و تقاليد الشعوب و هذا لن يكون وفق نظرية الصراع الحضاري إنما وفق حوار ثقافي و حضاري بين مختلف الأطراف.

كما أن العديد من المؤشرات السياسية و الإقتصادية ساهمت بشكل كبير في تحسين منظر العلاقات الأورومغربية بشكل عام، ففي الجانب الإقتصادي بين الإتحاد الأوروبي الشريك الأول للدول المغربية في مجال التبادل التجاري رغم منافسة شديدة من أطراف أخرى خاصة ونقصد هنا المنافسة الأمريكية و الصينية.³

(1)-مصطفى بحوش، حوض البحر الأبيض المتوسط بعد نهاية الحرب الباردة، (القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، 2006)، ص14.

(2)-نفس المرجع، ص15.

(3)سليمان المنذري، السوق العربية في عصر العولمة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004)، ص255.

أما في الجانب السياسي هناك أيضا مؤشرات إيجابية حصلت مؤخرا في المنطقة على غرار بدء إندماج ليبيا نوعا ما في الفضاء المتوسطي، وكذا الإستقرار الأمني في الجزائر، و هذين عاملين أساسيين من شأنهما بعث العنل التعاوني سواء أفقي و نقصد إتحاد دول المغرب العربي أو عمودي نقصد العلاقة الأورومغربية.

وفي الأخير يمكن القول أن هذا السيناريو هة بمثابة نظرة تفاؤلية إلى درجة أنه لا يمكن أن يكون قابلا للتجسيد رغم كل الأمور الإيجابية التي تم ذكرها و هذا بالنظر إلى الصعوبات الكبيرة التي ما تؤثر سلبا على هذه القضية، حيث أن موضوع الشراكة بشكلها الإيجابي يعتبر فاقدا للمناعة مقابل التحديات الراهنة و التي هي معقدة، كما أن أي شراكة لابد من الإهتمام بمجالها الثقافي و جعله أولوية حقيقية لا مكمل رمزيا لسياسات و أهداف إقتصادية و سياسية و أمنية بالدرجة الأولى.

3- السيناريو الواقعي أو البقاء على الوضع القائم:

هذا السيناريو قائم على فرضية أساسية مفادها إستمرار العلاقة بين الدول الأوروبية و نظيرتها المغربية في نفس الإتجاه، أي نحن أمام جمود في التعاون و كل المحاولات لكسر هذا الجمود لن تتمكن من تغيير أي شيء فالعلاقة القائمة بين الطرفين الشمالي و الجنوبي سوف تبقى في إتجاه واحد، حيث ان الوضع الذي كان سائدا في فترات سابقة لم يتغير إطلاقا فالشمال متخوف من جنوبه و كذا إصراره على الإستمرار في سياسات الهجرة و التبادلات الثقافية و غيرها من الأمور التي لا تقبلها دول الضفة الجنوبية، و أيضا محاولة فرض الدول الشمالية لأفكار عديدة يراها الطرف الآخر تعارضا مع التركيبة الثقافية له إضافة إلى التركيز الأكبر على محاور الإقتصاد و السياسة.¹

و من أهم أسباب هذا الإستمرار في الأوضاع القائمة عدة إعتبارات منها:

- الدول الأوروبية و رغم أنها لم تبقى مقسمة غير أنها ليست متحدة كفاية حيث أن أوروبا تفتقد لقاسم مشترك يمكن أن تقوم عليه توجهاتها في المستقبل.

(1)-مصطفى بحوش، مرجع سابق ذكره، ص18.

- الوجود الأمريكي المكثف في المنطقة و تأثيراته على العلاقات بين هذه الدول.

- صعوبة تنفيذ سياسة الاتحاد الأوروبي في المنطقة.

هذا السيناريو إذا تحقق فمعناه أن المنطقة تتجه نحو الانفجار و الذي يأخذ أشكالا متعددة على غرار موجات هجرة كثيفة نحو الشمال و الذي سيكون بأعداد كبيرة و هو ما بدأ يتحقق فعلا على أرض الواقع من خلال عمليات إنتقامية في الشمال في شكل تفجيرات و إغتيالات أو تدخل عسكري مباشر... وغيرها من العواقب الوخيمة.

كما أن المتتبع لأحداث مشروع الشراكة الأورومتوسطية و نقصد هنا الإتحاد من أجل المتوسط ، فهو قائم على فكرة أساسية مفادها محاولة إبقاء الوضع على حاله في بعض الجوانب و هذا من حلال محاولة إبقاء فرنسا كفاعل جيوسياسي في المتوسط و خاصة في الإمتداد الذي تراه فرنسا أنه إمتداد طبيعي لمصالحها، و بما أن مشروع الإتحاد من أجل المتوسط كثيرا ما نادى على ضرورة التمسك بمسار برشلونة فلا يوجد إذن تغيير فعلي على مستوى العلاقة الأورومغربية، فالطرف الأوروبي خاصة فرنسا تحاول دائما إبقاء إمتيازاتها الثقافية و الإقتصادية و السياسية قائمة على حالها في المنطقة.¹

و ردة الفعل هي نفسها من طرف الدول المغربية من خلال النظر إلى مختلف هذه المبادرات كمحاولات لإعادة الهيمنة على دول الضفة الجنوبية، كما أن هناك تجاهل شبه كلي لقضايا أساسية خاصة بالنسبة للدول المغربية على غرار قضية الصحراء الغربية و القضية الفلسطينية إضافة إلى قضايا الهيمنة الإقتصادية و السياسية.

(1)-خضر بشارة، أوروبيا و الوطن العربي القراية و الحوار، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993)، ص17.

و في الأخير نقول أن كل الأهداف المعلن عنها في مختلف اللقاءات التي جمعت الطرفين الأوروبي و المغربي لم تبرح مكانها، ففي المجال الثقافي لم يكن هناك تجسيد فعلي لإية مشاريع إجتماعية أو ثقافية حقيقية فلا أثر لإعلام أوروبومتوسطي و لا تعاون نقابي أو حزبي و لا تبادل أفراد مرتقبأي أنه كل ما أعلن عنه لا أثر له على الواقع وما كنا نعيشه قديما لم يتغير في الحاضر و كل المؤشرات تدل على عدم وجود حراك حقيقي و قوي على مستوى هذه الشراكة، و هذا يتعدى كل المجالات و الميادين المطروحة لا الجانب الثقافي وحده.¹

(1)-خضر بشارة، مرجع سابق ذكره، ص18.

خلاصة الفصل الثاني:

تكشف العلاقة الأورومغربية العديد من الصعوبات و المعوقات و تبقى هذه العملية رهينة إهتزازات عنيفة و التي تؤثر سلبا على الجو العام، و الأمر الذي يؤدي حتما إلى إنهيار اشكال التعاون بين هذه الأطراف. و هذا يحتم على الجميع المضي قدما من أجل تحسين الأداء العام و هذا عن طريق تخلص كل الأطراف من الأنانية المفرطة في المصلحة الذاتية لكل طرف على حساب الآخر .

كما أن المواقف السابقة تعاني نقائص فادحة في طرحها لوجهات نظر التي تعبر دائما عن مصالح الطرف الأوروبي في هذه المعادلة الأمر الذي يتعارض ع مصالح الطرف المغربي، وكما تحدثنا في هذا الفصل عن الحركة الفرونكوفونية و مدى تأثيرها على العلاقات الأورومغربية، و أخيرا إستخلصنا أهم السيناريوهات المتوقع حصولها و هي:

- سيناريو الكارثة التي تحل على الجميع و الذي هو بمثابة النظرة المتشائمة و السلبية العلاقات الأورومغربية

- سيناريو الوضع الراهن و الذي يرى بأن مستوى العلاقة بين هذين الطرفين باق في مكانه

- سيناريو المنطقة المزدهرة و الآمنة و الذي هو بمثابة النظرة التفاؤلية للوضع القائم في المنطقة و هو مثالي نوعا ما وهو ما إستنتجناه في مذكرتنا.

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة

في نهاية هذه المذكرة نؤكد على أهمية هذا الجانب من التعاون و التي تهتم بالجانب الثقافي و الاجتماعي كنقطة إنطلاق من أجل الوصول إلى أنواع أخرى من التعاون. فالعلاقة الأورومغاربية تمثل تحديا حقيقيا لمختلف الأطراف المشاركة فيه نظرا لضرورة الوصول إلى نتائج إيجابية و هذا من أجل تحسين الأوضاع السائدة في المنطقة، فمن دون الوصول إلى النتائج الإيجابية و المتمثلة في بناء جسور مشتركة نحو التطور و الرفاه في المتوسط الواحد ، تبقى الأوضاع من تدهور إقتصادي و لإستقرار سياسي و كذا تمايز ثقافي آخذة في الإتجاه العكسي أي نحو السيناريو الكارثي و لسو الحظ هذا ما نشاهده اليوم.

إذن فالمنافسة العالمية على المنطقة المتوسطية يتحتم على أطراف هذه العلاقة المضي قدما من أجل الوصول إلى إتفاقيات حقيقية من أجل التعاون المتبادل و الحقيقي ، فتزواج الإمكانيات المتاحة على مستوى الدول المغاربية من طاقة و عوامل بشرية مع الخبرة الأوروبية من شأنها إحداث قفزة نوعية لأقطار هذه المنطقة.

و بالعودة إلى البعد الثقافي و دوره في تحريك العلاقات الأورومغاربية في شقيها الصراع و التعاوني، سوف نؤكد من جهة أخرى على ضرورة فتح قنوات الإتصال ما بين الضفتين و على جميع المستويات سواء الرسمية المركزية أو الأطراف اللامركزية الأخرى ن حيث أن أول خطوة من أجل تطوير حقيقي لهذا الموضوع هو وجود الإرادة

الخاتمة

السياسية حيث أن حسب المؤشرات المطروحة على أرض الواقع و هو ما شهدناه في العرض تحديدا ، فهناك شبهة حقيقة حول نوايا أطراف هذه المعادلة، خاصة من جانب دول الإتحاد الأوروبي التي تتجاهل هذه المواضيع و تعتبرها ثانوية من خلال وضع الجوانب الثقافية و الإجتماعية في درجة سفلى من إهتماماتها الكلية و كذا من خلال الميزانية الضعيفة المخصصة لها مقارنة بالمحاور الأخرى.

كما أن الساسة الأوروبيون في الأساس يعملون على تجسيد روح الإنقسام داخل المنطقة المغاربية ،حيث أن حرية الحركة أوحرية إنتقال الأفراد هي محدودة جدا و متدهورة و هذا أمر غير مقبول خاصة و إذا ما قارنا هذه النقطة بمقولة الحريات الأربعة و التي تنادي بحرية إنتقال رؤوس الأموال، و الخدمات و السلع و الأشخاص، فيا ترى هل نحن أمام حريات ثلاثة أم أربعة؟ السؤال الذي يبقى مطروحا للجميع.إذن فنحن أمام إستمرارية في سياسات الهيمنة الغربية بشكل عام و الأوروبية بشكل خاص، فلا يمكن الحديث عن أي تعاون في ظل إستمرار هذه السياسات ، فنحن أمام تكبيق حقيقي لنظرية التبعية و التي تؤكدمن خلالها العلاقة الواقعية بين المركز و المتمثل في الدول الأوروبية و الأطراف المحيطة به و التي لا تتعدى في كونها دولا تابعة للمركز.

كما أنه حان الأوان من أجل إستبدال كل السياسات السابقة بسياسات مشاركة و تعاون يساهم في وضعها كل الأطراف و المصالح أي الطرف الشمالي و الطرف الجنوبي، و

الخاتمة

هذا من أجل توضيح الرؤى و جعل العملية أكثر براغماتية مع المسارعة في حل العديد من القضايا الشائكة التي تقف عثرة كبيرة أمام هذه الدول على غرار الاختلاف الجزائري الفرنسي أو المغربي الإسباني ... و هي أمور يجب إعادة النظر حولها من أجل تحقيق أفضل الأهداف.

و في نفس السياق فمن الأفضل تجسيد تعاون تدريجي في المنطقة و هذا من خلال ضم الأعضاء الذين لهم قابلية أكثر للتعاون وهذا كأن تعزز صيغة التعاون 5+5 الذي يجمع الدول الأوروبية و نظيرتها المغاربية المطلة على المتوسط حيث من الممكن أن تتطور هذه الشراكة خاصة و أن المصالح المشتركة بين هذين الطرفين كبيرة جدا، كما أن العديد من الخلافات الموجودة يمكن الإتفاق عليها على غرار الماضي الإستعماري كمثال لهذه الخلافات.

و في الأخير سوف نستعين بمقولة "أوكتافيو باز octavio paz " التي تقول: إن كل ثقافة هي وليدة المزج و التلاقي ، و على عكس ذلك فإن الحضارات تموت من الإنعزال و أن مكانة البعد الثقافي في الفضاء الأورومغاربي هي نفسها مع الأبعاد

الأخرى(الإقتصادية، السياسية الأمنية)، لأن لا يمكن إهمال الجانب الثقافي في هذه العلاقةيؤدي إلى فشلها، و التأكيد على أن تنامي العوامل الثقافية في العلاقات الأورومغاربية يرجع إلى التحولات التي خلفها أحداث 11سبتمبر 2001 و كما تؤثر هذه

الخاتمة

العوامل الثقافية و تساهم في تحريك جدلية العلاقات الأورومغاربية في شقيها الصراعى و التعاونى.

الملاحق و الخرائط

الملحق رقم: 01

إعلان برشلونة:

التي تمت المصادقة عليه في المؤتمر الأوروبي

27-28 نوفمبر 1995

المشاركون في المؤتمر الأوروبي في برشلونة:

- _ مشددون على الأهمية الإستراتيجية للبحر الأبيض المتوسط و مدفوعون بالإرادة لإعطاء علاقاتهم المستقبلية بعدا جديدا، تركز على تعاون و تضامن شامل تمشيا مع مستوى الطبيعة الممتازة لعلاقات أساسها الجوار و التاريخ
- _ مدركون بأن الرهانات السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية الجديدة، على جانبي البحر الأبيض المتوسط تشكل تحديات مشتركة تتطلب حلا شاملا و منسقا
- _ مصممون من أجل هذا على خلق إطار متعدد الأطراف و دائم لعلاقاتهم، يركز على روح الشراكة مع إحترام ميزات و قيم كل المشاركين
- _ معتبرون هذا الإطار المتعدد الأطراف كنظير لتوطيد العلاقات الثنائية التي يجب حمايتها مع الإهتمام بطبيعتها
- _ مشددون على أن هذه المبادرة الأوروبية لا تهدف إلى الحل محل المبادرات الأخرى من أجل السلام و الإستقرار في المنطقتين و لكن ستساهم في نجاحها. و يدعم المشاركون تحقيق تسوية سلام عادلة و شاملة و مستديمة في الشرق الأوسط تركز على قرارات مجلس الأمن

التابع للأمم المتحدة و على المبادئ المذكورة في الدعوة إلى مؤتمر مدريد حول السلام في الشرق الأوسط، بما فيه مبدأ الأرض مقابل السلام بكل ما يعنيه ذلك.

__ مقتنعون بأن الهدف العام الذي يقضي بجعل حوض المتوسط منطقة حوار من شأنها تأمين السلام و الإستقرار و الإزدهار، يتطلب توطيد الديمقراطية و إحترام حقوق الإنسان و نمو اقتصاديا و إجتماعيا متوازنا و مكافحة الفقر و تنمية أفضل للتفاهم بين الثقافات .

__ يوافقون على إقامة شراكة شاملة بين المشاركين - الشراكة الأورو متوسطية عبر حوار سياسي منظم و تنمية التعاون الإقتصادي و المالي و تركيز أكبر على قيمة الأبعاد الإجتماعية و الثقافية و الإنسانية.

و نحن سوف نركز على الشراكة في المجالات الثقافية و الإجتماعية و الإنسانية و التي تنطبق مع موضوع دراستنا.

الشراكة في المجالات الإجتماعية و الثقافية و الإنسانية: تشجيع التفاهم بين الثقافات و التبادل بين المجتمعات المدنية.

يعترف المشاركون بأن تقاليد الثقافة و الحضارة على جانبي البحر المتوسط، و الحوار بين هذه الثقافات و التبادل على المستوى الإنساني و العلمي و التكنولوجي تشكل عاملا رئيسيا في التقارب و التفاهم بين الشعوب و تحسين التقدير المتبادل.

و في هذا السياق يوافقون المشاركون على إنشاء شراكة في المجالات الإجتماعية و الثقافية و الإنسانية و في سبيل هذا:

__ يؤكدون من جديد بأن الحوار و الإحترام بين الثقافات و الأديان هما شرطان ضروريان لتقارب الشعوب حيث يشددون في هذا الصدد على أهمية الدور الذي تستطيع أن تلعبه أجهزة الإعلام بشأن الإعتراف و التفاهم المتبادل للثقافات كمصدر للإثراء المشترك.

__ يشددون على الطبيعة الجوهرية لتنمية الموارد البشرية سواء بما يخص التعليم و تأهيل الشباب بوجه خاص أو في مجال الثقافة يعبرون عن إرادتهم في تشجيع التبادل الثقافي و معرفة اللغات

- الأخرى مع إحترام الهوية الثقافية لكل شريك، و تنفيذ سياسة دائمة للبرامج التعليمية و الثقافية. و في هذا المجال يتعهد المشاركون بأخذ التدابير التي نت شأنها تيسير التبادل الإنساني.
- _ يشددون على أهمية قطاع الصحة في التنمية المستدامة و يعبرون عن إرادتهم في تشجيع المشاركة الفعالة للمجتمع في تحسين الأحوال الصحية و المعيشية.
- _ يعترفون بأهمية التنمية الإجتماعية الذي يجب حسب رأيهم أن يواكب التنمية الإقتصادية و يعلقون أهمية خاصة على إحترام الحقوق الإجتماعية الجوهرية با فيها الحق في التنمية.
- _ يعترفون بالدور الرئيسي الذي بإمكان المجتمع المدني القيام به في تنمية الشراكة الأوروبية-المتوسطة و كعامل أساسي لتفاهم و تقارب أفضل بين الشعوب.
- _ يعترفون بأهمية تشجيع الإتصالات و التبادلات بين الشباب في إطار برامج تعاون غير مركزية.
- _ يشجعون كل الفعاليات لدعم المؤسسات الديمقراطية و إرساء دولة القانون و المجتمع المدني.
- _ يعترفون بأن التطور السكاني الحالي يشكل تحدياً ذو أولوية يجب مواجهته بواسطة السياسات السكانية المناسبة من أجل تسريع الإنطلاق الإقتصادي.
- _ يعترفون بأهمية الدور الذي تلعبه الهجرة في علاقاتهم و يوافقون على تكثيف التعاون فيما بينهم من أجل تخفيف وطأة الهجرة بواسطة برامج للتأهيل المهني و برامج تساعد على خلق فرص العمل و غيرها، و يتعهدون بحماية مجمل الحقوق المعترف بها في ظل التشريعات الحالية للمهاجرين المقيمين قانوناً على أراضيهم، و في مجال الهجرة غير الشرعية يقررون زيادة التعاون فيما بينهم. و في هذا الصدد بالوعي الخاص عن مسؤوليتهم في إعادة قبول المهاجرين، فقد وافق المشاركون على تبني الخطوات و الإجراءات اللازمة عن طريق الإتفاقيات أو الترتيبات الثنائية لإعادة قبول المواطنين الذين في وضع غير شرعي و لتحقيق ذلك سيعتبر الإتحاد الأوروبي مواطني دول الأعضاء كمقيمين طبقاً لتعريف المجموعة الأوروبية.
- _ يتفقون على إقامة تعاون و ثيق في مجال مكافحة الإرهاب و الفاعلية الجماعية لهذه المكافحة.

_ يعتبرون أنه من الضروري مكافحة الجماعية ضد تجارة المخدرات، الإجرام الدولي و الفساد(الرشوة).

_ يؤكدون على أهمية مكافحة العنصرية و كره الأجانب و عد التسامح و يوافقون على التعاون في هذا السبيل.

الملحق رقم 02:



خريطة العلاقات الأوروبية مغربية و الشراكة الأوروبية متوسطة

الملحق رقم 03:



خريطة العالم العربي أو المغرب العربي

قائمة المراجع

قائمة المراجع

قائمة المراجع

I الكتب:

أ- باللغة العربية:

- 1- الشلبي، جمال، العرب وأوروبا رؤية سياسية معاصرة. عمان: دار فارس للنشر و التوزيع، 2000.
- 2- الإبراهيمي، عبد الحميد، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، 1996.
- 3- الحاج، علي، سياسات دول الإتحاد الأوروبي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، فيفري 2005.
- 4- المنذري، سليمان، السوق العربية في عصر العولمة. القاهرة: مكتبة مدبولي، 2004.
- 5- المحادمي عبد القادر رزيق، الإتحاد من أجل المتوسط الأبعاد و الآفاق. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009-2010.
- 6- أحمد إبراهيم، عبد التواب، أصول البحث العلمي في علم السياسة مناهجه و مفترضاته. القاهرة: دار الجامعة الجديدة للنشر، 2009.
- 7- العالم، محمد أمين، الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية. القاهرة: دار المستقبل العربي، 1998.

قائمة المراجع

- 8- إدريس، سامية، **المخيال العربي**. بجاية: دار المطبوعات الجامعية، 2009.
- 9- بشارة، خضر، **أوروبا من أجل المتوسط من مؤتمر برشلونة إلى قمة باريس**. ترجمة سليمان الرياشي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.
- 10- بخوش، مصطفى، **حوض البحر الأبيض المتوسط بعد الحرب الباردة**. القاهرة: دار الفجر للنشر و التوزيع، 2006.
- 11- بن عنتر، عبد النور، **البعد المتوسطي للأمن الجزائري**. الجزائر: المكتبة العصرية للطباعة و النشر، 2005.
- 12- بشارة، خضر، **أوروبا و الوطن العربي القرابة و الجوار**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.
- 13- جندلي، عبد الناصر، **تقنيات و مناهج البحث في العلوم السياسية و الإجتماعية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2006.
- 14- عبد الرحمن، خليفة، **المدخل في الإيديولوجية و الحضارة**. مصر : مكتبة بستان المعرفة، 2006.
- 15- حليم، سعد، **دور الثقافة في الإدراك في العلاقات الدولية**. القاهرة: الجمعية المصرية للنشر و المعرفة، 2004.
- 16- بن نبي، مالك ، **مفهوم الحضارة**. بيروت: دار النشر و المعرفة، 2005.

قائمة المراجع

17-محمود مصطفى، نادية، أوروبا و حوار الثقافات الأورومتوسطية نحو رؤية عربية للتفعيل. القاهرة: برنامج حوار الحضارات، 2007.

18- سعدي ،محمد،مستقبل العلاقات الدولية من صراع حضارات إلى أنسنة الحضارات و ثقافة السلام.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006-2008.

19- لعلو، فتح الله، المشروع المغربي و الشراكة الأوروميوسطية.الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1997.

ب- باللغة الأجنبية:

1- Addi l'houari, l'algerie et a démocratie , pouvoir et crise de la politique dans l'algerie.paris: la decouverte,1995.

2-ammor fouad, le partenariat euro méditerranéenne a l'heure de l'élargissement.rabat,2004.

3-berger nathalie,la politique européenne d'asile et dimmigration, bruxelle,2000.

4- EL khedar bichara,l'europe et la méditerranée, géographique de a proximité.paris1994.

5-françis fukuyama, la fin de l'histoire et le dernier homme.flammarion,1992.

قائمة المراجع

10- abderahmane metboul, le maghreb dans son environnement regional et international.bruxelle : note de l'ifri ,2011.

11- hassane zouiri, le partenariat euro méditerranéé contribution au devopment du maghreb.l'harmattan,2010.

12- adam mekaoui,partenariat économique euro- marocain :une regionale startégique .l'harmattan,2000.

6- george pierre, les migration internatinales.paris : presse de l'université française,1976.

7-nachida bouzidi,5essais sur l'oiverture de l'economie algerienne.alger 1998.

8- nadia hamour, l'europe et le monde arabe depuis 1994.edition marketing,paris :cedex,2009.

9-sayad abdelmalek,l'immigration ou les paradoxes de l'latérité.bruxelle : de boech walmael,1991.

II المقالات:

أ- باللغة العربية:

قائمة المراجع

- 1- البيومي جمال الدين، "العلاقات الأوروبية المتوسطية و تحديات المستقبل". السياسة الدولية، عدد 142، أكتوبر 2000.
- 2- أبو العينين محمد، "العلاقات الأوروبية الإفريقية بعد إنتهاء الحرب الباردة". السياسة الدولية، عدد 140، أبريل، 2000.
- 3- بخوش مصطفى، "التحول في مفهوم الأمن و الترتيبات الأمنية في المتوسط". السياسة الدولية، عدد 174، أكتوبر 2008
- 4- بن إبراهيم صلاح الدين، "الفرونكوفونية و هموم العرب". مجلة الرائد، عدد 239، سبتمبر 2002.
- 5- مطاوع محمد، "أوروبا و المتوسط... من برشلونة إلى سياسة الجوار". السياسة الدولية، عدد 163، جانفي 2006
- 6- محيوسفي ، "الشراكة الأورو متوسطية و آثارها على بلدان إتحاد المغرب العربي". مجلة إدارة، عدد، 02، 2000
- 7- كمال جاه الله الخضر، "مكونات الثقافة في السودان". مجلة قراءات إفريقية، العدد 13، سبتمبر 2012
- 8- نور الدين محمد، "المسلمون في أوروبا و مشكلة الاندماج". مجلة شؤون الأوسط، عدد 121، 2006

قائمة المراجع

9- برقوق سالم، "الإستراتيجية الفرنسية في المغرب العربي". سياسات

دولية، عدد 117، 2009.

ب - باللغة الأجنبية:

1- triballa michel, "l'immigration", cahier français, n°291 juin 1999.

2- khelladi, belattaf, " la zone economique de la méditerranée

occidental", cread, université aderahmane mira bejaia, 2003.

3- pierre tapinos george, "mondialisation, intégration régional et

migration international", revue internationales des scienses

sociale, n°165, septembre, 2000.

4- question- "internationales le maghreb", n°10, revu : ena novembre

2004.

III المواثيق و النصوص الرسمية:

أ- باللغة العربية:

1- الإعلان المشترك لقمة باريس من أجل المتوسط، باريس، 13 جوان 2008.

2- عملية برشلونة بعد عشر سنوات ، المفوضية الأوروبية، بروكسل، 2005.

3- ميثاق مدريد ، مدريد ، 11 جانفي 1997

4- ملحق برنامج العمل لإعلان برشلونة، نوفمبر 1995

قائمة المراجع

ب-باللغة الأجنبية:

- 1- commission de communautés européennes, : les perspectives de development du territoires, bruxelle, 07 novembre 1991.
- 2- conseil de la nation, la cooperation et le partenariat euro-mediterrannee, 19 decembre 2004.
- 3- declaration de barcelone, adoptée lors de la conference euro-mediterrannee, 27_28 novembre 1995.

IV المذكرات والأطروحات الجامعية:

- 1- فيصل، سمارة. البعد الإنساني في الشراكة الأوروبية، أطروحة الماجستير غير منشورة. جامعة مولود معمري: تيزي وزو، 2013.
- 2- مريم، زكري. البعد الإقتصادي في العلاقات الأوروبية، أطروحة الماجستير غير منشورة. جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، 2011.
- 3- غالية بن زيوش. الهجرة و التعاون الأوروبي المتوسطي منذ منتصف السبعينات، أطروحة ماجستير غير منشورة. جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية، 2005.
- 4- فيلالي، فاطمة. مسار التعاوض في حوض المتوسط - الشراكة الأوروبية نموذجاً، أطروحة الدكتوراه غير منشورة. جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية و الإعلام، 2008- 2009 .

قائمة المراجع

5- أعجال، محمد الأمين لعجال. إستراتيجية الإتحاد الأوروبي تجاه دول المغرب العربي،

أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية، 2006-2007.

6- لعرباوي، نصير . البعد الإجتماعي و الثقافي للمشاركة الأورومتوسطية مع التركيز على

الجزائر، تونس، المغرب، أطروحة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية و

الإعلام، 2007-2008.

V الأنترنت:

– www.google.com

– www.arabe.worldbooks.com

– نصر عارف، الثقافة مفهوم ذاتي متجدد، من الموقع: www.khayma.com

VI المعاجم:

البعليكي، منير. المعجم الوسيط. القاهرة: دار النهضة، 1994

فهرس الدراسة

مقدمة.....	ص 2
الفصل الأول: الإطار المفاهيمي و النظري للدراسة.....	ص 14
مقدمة الفصل الأول.....	ص 15
المبحث الأول: إطار عام حول مفهوم الثقافة.....	ص 16
المطلب الأول: الإطار المفاهيمي و السياق التاريخي للثقافة.....	ص 16
المطلب الثاني: خصائص الثقافة و مكوناتها و وظيفتها.....	ص 31
المطلب الثالث: علاقة مفهوم الثقافة بالمفاهيم الأخرى.....	ص 35
المبحث الثاني: العلاقات الأورومغاربية.....	ص 41
المطلب الأول: السياق التاريخي للعلاقات الأورومغاربية.....	ص 41
المطلب الثاني: عوامل قيام العلاقات الأورومغاربية.....	ص 43
المطلب الثالث: أهمية المحدد الثقافي في تحديد العلاقات الأورومغاربية...ص	ص 45
المبحث الثالث: مكونات الثقافة المغاربية و تأثيرها على العلاقات الأورومغاربية.....	ص 47
المطلب الأول: المبادئ الأساسية للثقافة المغاربية.....	ص 47
المطلب الثاني: الثقافة الإسلامية في المغرب العربي و الحضارة العربية الإسلامية(العنصر الديني في الثقافة المغاربية).....	ص 48
المطلب الثالث: المعطى الثقافي الهوياتي الأمازيغي.....	ص 52

خلاصة الفصل الأول.....	ص59
الفصل الثاني: تأثير العوامل الثقافية على العلاقات الأورومغاربية.....	ص60
مقدمة الفصل الثاني.....	ص61
المبحث الأول: السياق النظري (الأطروحات الفكرية).....	ص62
المطلب الأول: أطروحة نهاية التاريخ "فرانسيس فوكوياما".....	ص62
المطلب الثاني: النظريات الإحتمالية للأمن "البنائية".....	ص65
المطلب الثالث: أطروحة صدام الحضارات "سامويل هنتغنتون".....	ص70
المطلب الرابع: مقارنة "إدارة التوحش لأبي بكر ناجي".....	ص73
المبحث الثاني: السياق التطبيقي (السياسات الأوروبية و الحركة الفرونكوفونية).....	ص76
المطلب الأول: البعد الثقافي في المشاريع المختلفة في المغرب العربي (مسار برشلونة، الإتحاد من أجل المتوسط)،.....	ص77
المطلب الثاني: الحركة الفرونكوفونية.....	ص86
المطلب الثالث: مدى تأثير الحركة الفرونكوفونية على العلاقات الأورومغاربية.....	ص95
المبحث الثالث: مشاكل و حلول و سيناريوهات المستقبلية للعلاقات الأورومغاربية.....	ص99

المطلب الأول: مشاكل العلاقات الأوروبية.....ص 99

المطلب الثاني: حلول للمشاكل العلاقات الأوروبية.....ص 102

المطلب الثالث: سيناريوهات المستقبلية للعلاقات الأوروبية.....ص 104

خلاصة الفصل الثاني.....ص 110

الخاتمة.....ص 112

قائمة المراجع.....ص 115

الملاحق.....ص 124

ملخص الذاكرة.....ص 134

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة

جاءت هذه المذكرة بعنوان دور العوامل الثقافية على تحريك العلاقات الأورو- مغربية (2001-2011) حيث وبعد المقدمة جاء الفصل الأول ليعين الإطار النظري و المفاهيمي للدراسة، المبحث الأول تحدثنا فيه عن الإطار العام عن مفهوم الثقافة ، و في المبحث الثاني تطرقنا إلى العلاقات الأورو-مغربية عامة، و في آخر المبحث تطرقنا إلى أهمية المحدد الثقافي في تحديد علاقات الأورو-مغربية، أما المبحث الثالث تناولنا مكونات الثقافة المغربية و تأثيرها على العلاقات الأورو-مغربية.

أما الفصل الثاني فقمنا بإبراز مدى تأثير العوامل الثقافية على العلاقات الأورو-مغربية حيث تحدثنا في المبحث الأول عن الأطروحات الفكرية الذي هو عبارة عن سياق نظري و في المبحث الثاني تطرقنا إلى السياسات الأوروبية و الحركة الفرونكوفونية و آخر تطرقنا إلى السيناريوهات المستقبلية لهذه العلاقة الأورو-مغربية و ما هو الوضع الذي سيسود المراحل المقبلة.

Résumé :

Cette note a été intitulé le rôle des facteurs culturels pour déplacer les relations Euro–Maghrebin (2001–2011). Après l'introduction, où le premier chapitre est venu pour montrer le cadre théorique et étude conceptuelle, Le premier sujet nous avons parlé du cadre général pour le concept de la culture, Dans le deuxième sujet, nous avons traité de l'Euro–Maghreb en général, Dans la dernière section, nous avons discuté de l'importance de la culture spécifique pour identifier les relations Euro–Maghrebinne.

Le deuxième chapitre donc nous mettre en évidence l'impact des facteurs culturels sur les relations euro–maghrébines, Lorsque nous avons parlé dans la première section des thèses intellectuelles qui est un contexte théorique, Dans la deuxième partie, nous avons traité avec les politiques européennes et le mouvement francophonie, Un dernier recours, et nous avons traité avec les futurs scénarios pour la relation euro–Maghrebinne et quelle est la situation qui prévaudra prochaines étapes.

–Université mouloud mammeri.

– faculté de droit et sciences politique.

– departement de sciences politique et relation internationale.



Le role des facteurs culturelles dans le deplacement des relations euro–maghrebennes(2001–2011)

–memoire en vue de l’obtention du diplome de master en
science politique et relation internationale.

Option :euro–méditerranéan.

Encadré par :

E .GHENNAM FAIZA

Réaliser par :

BOUARABA OMAR

Jury :

E. TIBANI OUAHIBA

E.OUARI ABDELKRIME

ANNEE UNIVERSITAIRE :2015–2016